

الانسان الكامل في الاسلام

وأصالته النشورية*

تأليف

لوى مايبفور

(*) بحث نشر في *Eranos-Jahrbuch* 1947 سنة ١٩٤٧ وطبع في اتسورش Zürich بسويسرة سنة ١٩٤٨ ، وعنوانه الأصل : *L'Homme Parfait en Islam et son originalité eschatologique* « والنشورية » نسبة إلى النشور أى الإحياء فى الآخرة ، وقصد بها الأخروية وما يتصل بالعالم الآخر من حساب وثواب وعذاب ، الخ .

obeikandi.com

قبل الخوض في الروايات الإسلامية عن « الإنسان الكامل » ، أودّ ، كما يقول يونج^(١) ، أن « أضرب بسهمي في اللعب » : بأن أهبي^٢ الأسباب للدخول في « ميدان العقولية » الذي فيه تصدق تلك الموضوعات ذات الطابع النموذجي المتفاوت الدرجات . ألا فليسمح إذن لعالم اجتماعي يعني بالإسلاميات أن يتعرّف ، على الطريقة « الوجودية » ، ما لهذه الموضوعات من أهمية حيوية عصرية عامّة ، وذلك في الوقت الذي اقتربت فيه ساعة « الحساب الأخير » لأوروبا الاستعمارية (وللصهيونية التي تحاكيها) ، وأفصحت عن أسرارها في الصيحة الصاعدة من أفواه الشعوب التي ابتليت بالاستعمار ، وقد حرّمتها نحن من حظ الإفادة من مزياننا الثقافية والحضارية فاندفعت تطالب بحقوقها .

« الحساب الأخير » ، إى والله . فقد لاحظ منذ قليل فيلسوف هو الوجودي المسيحي جبريل مرسل في مقال له بعنوان : « الصناعة الفنية والخطيئة »^(٢) ، أن حرب اللاويانات^(٣) قد أصابها من الشمول ما جعلها بمثابة جريمة عامة ضد الحياة ؛ وإن « القنبلة الذرية » قد ارتفعت بالتهديد بالإفناء إلى سلّم كوكبي^(٤) . أجل ، لا يزال ثمت

(١) [كارل جوستاف يونج Carl Gustav Jung عالم بالنفس والأمراض النفسية ، سويسرى ، ولد في بازل في ٢٦/٧/١٨٧٥ ودرس الطب في بازل وباريس . وشغل من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٠٩ منصب مساعد ثم أستاذ في عيادة الأمراض النفسية في اتسوريش . ومن سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩١٣ كان مدرّساً لعلم الأمراض النفسية في جامعة اتسوريش . وهو من أوائل أتباع فرويد ، ثم انفصل عن مدرسة التحليل النفسي لفرويد من أجله تكوين مدرسة خاصة هي المعروفة بمدرسة اتسوريش — المترجم] .

(٢) راجع ، G. Marcel : « Technique et péché », ap. « Le cheval de Troie » 1947 ، p. 76-94 [وجبريل مرسل فيلسوف وجودي ذو نزعة دينية بارزة عبر عن مذهبه في صورة خواطر أودعها كتاب « يوميات ميتا فيزيقية » ، باريس ، جاليمار سنة ١٩٢٨ و « الوجود والملك » *Etre et Avoir* باريس ، أوبييه ، سنة ١٩٣٣ . وقد ولد سنة ١٨٨٩ . وهو فضلا عن هذا مؤلف مسرحي ملحوظ المكانة — المترجم] .

(٣) [Léviathans : وفي العبرية لويثان ، ومعناها في « الكتاب المقدس » الذي يظهر فيه هذا اللفظ ست مرات ، حيوان خيالي أو حقيقى : فني سفر « أشعيا » (٢٧ : ١) هو حيوان على هيئة أفعى ملتوية ، وفي « الزامير » (مزمور ١٠٤ : ٢٦) حيوان يعيش في المياه ، وفي سفر « أيوب » (٤٠ : ٢٥) يفسره المصراع بأنه التمساح] .

(٤) [أى بعد كوكبي ، بمعنى أنه شامل للأرض كلها] .

احتجاج ينطلق في استحياء هنا وهناك باسم « الشفقة على الحياة » ، لكن الصناعة الفنية التي لا ترحم يرى أصحابها الصفة أن هذه الشفقة على الحياة صارت أمراً تتضائل أهميته يوماً بعد يوم حتى ليكن إهماله . ولهذا قد دخلنا فعلاً — آمناً بذلك أو لم نؤمن ، ما دامت الإنسانية أضحت على أهبة الانتحار — نقول إنا دخلنا فعلاً في عصر « نُشُورِي » .

هذا من حيث المظهر الخارجي ؛ — ومن حيث الباطن إن كنا ممن يحملون ، من غير تسليم بذلك ، سماع صرخة العدالة من حناجر البائسين الذين احتوشت عليهم المصانع الحاشدة فأوقعتهم في مضايق مشابهها ، هنالك نستشعر لمس خطر الخلاص يقبل علينا من العالم الآخر . وهذا جانب رؤياوي^(١) نغني بدراسته المجلة الباريسية^(٢) : « الله حي » ، من بين ما نغني به من آفاق فلسفية ودينية . وبينما نشاهد أنه قد أنشئ حديثاً في باريس أيضاً « لجنة مسيحية للتفاهم » بين فرنسا والإسلام ، في نفس الوقت الذي تدأب فيه أقلية من الزعماء الاستعماريين في أمريكا وأوروبا على معاملة الـ ٤٠٠ مليون مسلم الذين في العالم (والـ ٨٠٠ مليون هندوكي وبوذي) معاملة المنحطين ، بينما يحدث هذا كله يحكُّ في صدورنا الشعور بأن « الإنسان الكامل » لن يكون هذا الإنسان الآلي الذي توجده « الهندسة الصناعية » المغرورة التي يهيبُ أسبابها التقدمُ الفزيائي الكيمياء ، بل إنه سينبتق من الأوساط الإنسانية ، متخذاً صوت قاضٍ « حاكم » قد أُلجئ إلى النطق بالحكم الفصل^(٣) .

وأياً ما كان الأمر ، فإن فكرة الإنسان الكامل إنما نشأت ، حسب رأينا ، في الرؤى السامية ، لا في الفلسفة الهلينية التي تجرت فيها (من بعدُ) في قالب تنظيمي .

(١) [نسبة إلى سفر الرؤيا *Apocalypse* وهو آخر أسفار « الكتاب المقدس » ، وينسب إلى يوحنا ، وكله ملء بالرموز التي يرجع تأويلها إلى إشارات إلى وقائع تاريخية عصرية (عهد نيرون باضطهاداته الشديدة للمسيحية) وإلى أفكار أخروية تتحدث عن البعث والنشور والحساب والمسيح بوصفه الحاكم العادل المتنب المعاقب — المترجم] .

(٢) [*Dieu Vivant* مجلة دينية يشرف عليها خصوصا الأستاذ ماسينيون وجنديك *Gandillac* وجبريل مرسل *O. Marcel* . وتمتاز بأنها تحاول المزج بين إشاعة الروح الدينية الصادرة عن تجربة مباشرة وبين الإجابة عن المشاكل الروحية العصرية من وجهة نظر الحياة الروحية المسيحية — المترجم] .

(٣) الكراسية ٧ من مجلة « الله حي » ، باريس نصره *Seuil* ؟ راجع « الشهادة المسيحية » *Témoignage Chrétien* [جريدة مسيحية] باريس في ١٩٤٧/٦/٢٧ ، و ١٩٤٧/٨/١٥ ، و « كونا » *Combat* ، باريس في ١٩٤٧/٦/٢٢ ، وفي ١٩٤٧/٧/٢٣ .

فهي عند أنبياء بني إسرائيل فكرة «عبد يهوا» ، فكرة «العادل» المبتلى بالآلام ، والذي يكشف الرد الظافر لكرامته إليه ، في نهاية الأزمان ، عن «سر مجد العادل»^(١) ، هذا السرّ الذي أخفاه الله عن الملائكة ؛ عن «الأمانة» التي لا يستطيع حملها غير القلب الإنساني (القرآن : سورة «الأحزاب» : ٧٢ ؛ «ذهاب الأمانة» ، «سنن» ابن ماجه ج ٢ ص ٤٩٩) . وهي في المسيحية الايمان بعود المخلص^(٢) ، والتتويج (المثلث الملكوت) للكنيسة ، والتأليه لكل أولئك الذين أدركوا الله الحيّ بقلب واحد ، والتمجيد المنتقم لكلمة الحضرة ، «كُنْ» ، العذراوية . وهي في الإسلام «شاهد القدم» ، صوت «الروح» الذي سيُحطّم فعله الرجعيّ كلّ الرموز الوثنية «فيملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً» — هذا النشيد الموحى الذي يدوي من استشعار الجمال الأزلي المستعاد .

والفكرة السامية عن الإنسان الكامل وثيقة الصلة بالأسلوب النبويّ . فعلى الرغم من الأحكام السابقة الهندية — الأوربية ، فإن النبوة ليس من شأنها أن تتدرج ، عند الساميين ، في قالب الفعل المستقبل وما يتفرع عليه من أحوال للاستقبال ، تُصنّف بـ «اللون المحلي» الخاص بنا ، وبـ «زماننا الذاتي» نحن معاصر الآدميين ؛ وليس من شأنها أيضاً أن تندمج في سياق التتالي الوضعي العرّضي لتلك الأحداث المنفصلة التي تعبّر عنها اللغات الالتصاقية .

في اللغات السامية نشاهد الأسلوب النبويّ يولج الجانب التام للفعل في الجانب غير التام ، والمطلق في النسبي ؛ و «معجزة» النبوة تعبّر عن نفسها ، — لا بتقسيم الفرار الخطّي للزمان (بواسطة حوادث منفصلة ، عارضة ، نُقطيّة ، دقائق الساعة ، يضاف بعضها إلى بعض لعدّ الحركة ، مثلما في الساعة الرملية الأرسططالية) ، — ولا بقلب الدورية الجمعية للزمان المتعدد الأوجه ، زمان الكواكب ، هذا الانعكاس ، في مذهب أفلاطون ،

(١) سفر «أشعيا» ، أصحاح ٢٤ آية ١٦ ، ليون بلوا Léon Bloy رسالة إلى هلو Hello بتاريخ

١٨٨٠/٨/١٨ (في : «السائل الجود» ، ٢ : ٧٩)

(٢) [παρουσία = Parousie ومعناها في الإنجيل «العود الماجد للمسيح» على أساس الاعتقاد أن المسيح سيعود إلى الدنيا من جديد (أربع مرات في إنجيل متى ، وسبع مرات في رسائل القديس بولس) — المترجم] .

للسرمدية (بمشاهدة عَوْدَاتِهِ وَسَبَقَاتِهِ وَخُسُوفَاتِهِ ، فِي الْجَنُومِون^(١) النصف كروي الكلداني) وإنما يوقف البندول (الرَّقَاصُ فِي الْعَرَبِيَّةِ) عند درجة الصفر لِسَعَةِ الذَّبْدَبَةِ (التي ترقص ، مع نبض الحياة ، حول اللحظة الحاضرة) : عند نقطة اليكار لدى الورد ، عند النهاية القصوى للمسارعة ، عند نقطة الوصول ، غير المتوقعة ، في «مقام الخلاص» (القديس أوغسطين) .

وهذه الوَقْفَةُ هي «المصيبة» ، ذلك العنصر الأول لكل «ملحمة» ، مصيبة عدالية تُفَكِّكُ جهاز التركيب الفاني للطبيعة بمنحها صفة القداسة ، وتشفي طبيًا غريزة القداسة ، لدينا . وتلك المصيبة المذكورة تفجّر فينا غائتنا النهائية ، حيث نتعرف علة وجودنا ، وذلك بتفاهم فجائي قُرْبَانِي ، يَحَقِّقُ فينا ، شخصيا ، هذا الرمز أو ذاك أو ذلك الموضوع النموذجي للتاريخ الإنساني . وهذا التضامُّ المحوري للزمان البندولي ، هذه الملحمة تكشف «بطريق القهقري» عن غائية التاريخ (التضامن في شخص آدم ، وقابلية العود في شخص المسيح) ، وتؤدي إلى عَوْدٍ لانبثاق ما أهمل من قبل من أحجار الزاوية وتعرّفها بمناظرتها بـ «لبنة الفضة» المفقودة ، وبمفتاح القبة المقدّس «للبنين المرصوص» («سورة الصف» : ٤) ؛ و«تقلب» فوهة «الصُّور» الداعي في اتجاه الأصول الأولى ، و«تعود» بنظرة «الحاكم» في ميل النتائج المضادّ صوبَ الأسباب ، وتوضّح العلامات المتقاطعة باستعادة ذكر العلام النموجية ؛ وإن ميول العناية (الإلهية) البادية في الحن والطامات والأحقاد لتفصح وتقطع وتعزل وتهدم من قُدْرٍ عليهم «العشق» (الإلهي) وقد صاروا بمثابة أهداف أمام الملا : «لا شخصٌ أُغَيِّرُ من الله» («سنن» البخاري ، باب «التوحيد» عند نهايته) ؛ «قُلْ إِنِّي لَنْ يُجَيِّرَنِي مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ» (سورة «الجن» : ٢٢) .

ومهما قيل ، فإن نبرة حارة صادقة تخرج من هذه النصوص وإن بدت منافرة لأفهامنا بما فيها من تمزيق لوجه المكان وتبديل في الأزمنة واضطرابات مقصودة ، ترتبط بالاستعمال المُعْتَمَد ، النموذجي ، لبعض الأعداد الصحيحة : مما يولد تداخلا في الأعصار ، وتقاربات في المنظورات ، ابتغاء «إيلاجنا من جديد» في محور الإرادة الإلهية . والصور

(١) [آلة تتكون من قضيب يلقى ظلا على سطح مستو أفقي ، الغاية منها معرفة ارتفاع الشمس والقمر فوق الأفق بحسب مقدار طول ظل القضيب ، وذلك لمعرفة الساعة — المترجم] .

الشاذة ، الوحشية في مساقها ، التي تبدى في هذه النصوص تخدع حاستنا الجمالية ، فتفضى بنا إلى أن نفهم أن كتابها « الموحى إليهم » هم مُقَدِّمًا شهود القلب النهائي للقيم الإنسانية ، ولا يحاولون مطلقاً أن يأخذوا بنا من « الخيوط الغليظة » للتكتل الغائى « للخدعة الكتابية^(١) الكبرى » (grosse Täuschung [الخدعة الكبرى] التي تحدث عنها افرنتس دليتش^(٢) Fr. Delitzsch) . وهم يحققون في الله الهويّة الجوهرية للتوفعات التي تمرق أفئدتهم ، والنبؤات السابقة التي حققها من قبل أسلافهم ؛ فذا كرتهم تستحيل رجاءاً ، ومن أجل هذا « يُدخلون » فيها ، بالاستخراج المتكرر ، بعضاً « مما يقع » (من أحداث) .

والنبوة هي البلاغ الملائكى إلى الطبيعة الإنسانية بالإتمام الخارق (للطبيعة الإنسانية) لغائيتها . وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بنوع من الإهلاك الظاهر : الإهلاك لـ « المعبد » البدنى ، وتخليص النية الروحية والغاية من العبادة في النفس التي تنجرد أمام الله فتجد في ذلك النوع المعقول الذى تُتَمِّمُه وهي تموت به ، الشاهد الأعلى للاحق الذى يجب عليها التعبير عنه : وذلك بالتموه بعبارة خالقة ، الضمير فيها ، الضمير المبتدأ ، هو « أنا » ، أى بصيغة المتكلم ، وهو هو الله بعينه وهو يؤكّد ذاته مباشرة من خلال تحطيم الأيقونة وعن طريق التحطيم المادى للصليب ، إنه هو الله ، ولكنه هو أيضاً الإنسان الكامل ؛ فهو لم يعد بعدُ اللاهوت وقد اتخذ مظهر الناسوت ؛ بل هو الناسوت وقد تدثر بثياب اللاهوت .

وعلى هذا النحو نرى أن الملحمة (الرويا الأخروية) الحقّة تصبح مُحَقَّقة ، لا باستعمال طارئٍ لحمل باهظ مُعْرِضٍ ، ولكن حينما تنقطع أوصال الاشتراك (اللفظى) المبدأى تحت التأثير الباطن لمُحَلِّلٍ (بالمعنى الكيمايى) حاد ، أعنى لتفسير روحى يُسْتَشْعَرُ بألمٍ ، وتمزّق

(١) [نسبة إلى الكتاب المقدس — المترجم] .

(٢) [افرنتس دليتش : لاهوتى وفيلولوجى ألمانى . ولد وتوفى في لبيتسك (١٨١٣ — ١٨٩٠) ، وأصبح أستاذاً للاهوت في روستوك (سنة ١٨٤٦) وارلنجن (سنة ١٨٥٠) وكان من خيرة رجال هذه المدرسة الأخيرة . ومن بين مؤلفاته : « تاريخ الشعر اليهودى » (سنة ١٨٣٦) ؛ « مرسم الجسد الصحيح والدم للمسيح » (سنة ١٨٤٤) ؛ « أبحاث جديدة عن أصل الأناجيل القانونية » (سنة ١٨٥٣) . وابنه فريدرش دليتش ولد في ارلنجن سنة ١٨٥٠ وتوفى في انجسفالباخ سنة ١٩٢٢ ، وكان أول أستاذ للأشوريات في ألمانيا . وأشهر مؤلفاته : « بابل والكتاب المقدس » (سنة ١٩٠٢) وهو كتاب يمتاز بالقد الحر . وله أيضاً : « ملحمة الخلق البابلية » (سنة ١٨٩٧) ؛ « المعجم الأشورى » (سنة ١٨٩٦) — المترجم] .

للصدر (« شرح الصدر ») : فها هنا قلبٌ للقيم « يوقظ النائم » (ابن سبعين) ، وصرخة الأمة وهي تلد (الجبلى)^(١) ؛ وإنما التواضع وحده ، تواضع العهد على الفقر ، يرشح المرء لكيما يكون « حاكماً » ، واليتيم الأب هو وحده ، وقد ولد من كلمة الحضرة : « كُنْ » هو الذى يستطيع أن يبعث الموتى . وفي الإنجيل نصّان لا تزال لهما قيمة رؤياوية (ملحمة) منقطعة النظر ، لأنهما غير متحققين وهما : طويّات موعظة الجبل ، ودعاء التمجيد^(٢) Magnificat (إنجيل لوقا ، الأصحاح الأول : ٤٦ — ٥٥) ؛ وما يبشران به من محي الإنسان الكامل ونصر المظلومين ليسا ، فى نظر صنّاع التفسير الحرفى الشرعى ، إلا نسيجاً من الثرات ؛ أما أولئك المحرومون من كل شيء ، اللهم إلا من التعطش اللامادى للعدالة ، فيستمسكون بعروتها الوثقى من أعماق رجائهم لا يقهرهم شيء .

نعم ، إن المنحولات والمزيّفات عديدة فى الكتب المنسوبة إلى الأنبياء ، حتى بمناسبة بعض الأمور الصحيحة . فقد حدث فيما يتصل بجان دارك مثلاً أن عدل ، سنة ١٤٢٩ ، فى نبوءة مِرْلان^(٣) Merlin عن « العذراء من الخشب الناصع » السكتية ، وذلك باقتطاع جزئية طوبوغرافية . لكن فيما عدا هذه الجزئية ، فإن الموضوع النموذجى كله قد بقى ، وهو أن من الممكن تصديق جان دارك بدون كذب ولا تمويه ، كما يفهم من قضية سنة ١٤٣١ .

أما النبوءات الكاذبة التى صنعت من أجل سياسيين دنيويين فإنها تنهافت من بعدُ

(١) عبد الكريم الجبلى (المتوفى سنة ٥٨٣٢ هـ = ١٤٢٨ م ؛ راجع كتابنا : « مجموع نصوص غير منشورة » ، باريس سنة ١٩٢٩ ، ص ١٤٨) فى « الإنسان الكامل » ، طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ ج ٢ ص ٥٠ : « تلد الأمة ربّتها » ؛ فإرن السكلمة « صيحة » (سورة « ق » : ٤١) .

(٢) [تطلق هذه السكلمة على نشيد من أناشيد مريم العذراء هو نشيدها عند أليصابات حينما حيتها هذه مبشرة إياها بأنها « امرأة مباركة من بين النساء » . (إنجيل لوقا ١ : ٣٩ — ٥٥) . وفى هذا النشيد المتأثر بنشيد حنه أم شمویل (١ ، « الملوك » أصحاح ٢ : ١ — ١٠) تعبير عن تواضع مريم ورحمة الله بها وإسرائيل — المترجم] .

(٣) [مِرْلان Merlin أو مِرْلان الساحر . شخصية فى الأساطير السكتية وأساطير الملك أرتور ؛ ويلوح أنه كان محارباً وشاعراً ، عاون الملك أرتور فى كفاحه ضد السكسون . ويقال إنه ولد من راهبة وجنى أراداً منه أن يكون المسيح الدجال ، لكنه أهد من الشيطان بفضل العمودية ، بيد أنه حافظ على مواهبه الخاصة بالسحر والتنبؤ حتى عاون بسحره الملك أرتور على امتلاك لجزر Yguerne الجميلة . وقد انتشرت نبوءاته فى العصور الوسطى واختصت بها أفكار يواقيم الفلورى — المترجم] .

بسبب ما فيها من تناقض باطن . فإن هذه النبوءات لا تؤمن بالرموز التي تريد منا أن نقدر مستثمريها المزعومين . ففي سنة ١٩١٧ خُيِّل إلى المكتب العربي البريطاني في القاهرة أنه يستطيع أن يؤيد ويركِّى هجوم جيش النِّبِيِّ Allenby على القدس باستغلال هذه المصادفة وهي أن اسم النِّبِيِّ بالخط العربي يمكن أن يقرأ أيضاً « النِّبِيُّ » ويتنبأ بالاستيلاء على المدينة (مدينة القدس) . لكن العالم العربي لم يستسغ إلا نادراً هذا « النبي » الكاذب الساذج ، هذا « النبي » رغم أنه ، الذي لم يعمل شيئاً ، مَثَلُهُ مَثَلُ « الدَّجَالِ » ، غير أن أتى باليهود فأقطعهم القدس غير حافل بمسيحهم^(١) .

— ٢ —

وفكرة « الإنسان الكامل » قد بدت في تاريخ مذاهب الإنسانية من عهد موغلٍ في القدم . وكتب المتون في الدين المقارن ، وقد جعلت نقطة ابتدائها من أساس سكونية (استاتيكية) آرية ، إنما ترى فيه خصوصاً أنه « الإنسان الأول » و « الجيومرث » عند المزدكية ، و « آدم قدمون » في كتب القبالة اليهودية ، و « الإنسان القديم » عند المانوية المستعربة . وعلينا أن نعترف بأن ضرباً من وحدة الوجود العقلية الإسلامية قد انتهى ، في عهد متأخر ، إلى تكوين تصور « للإنسان » على أساس أنه « إنسان عين الوجود » ، فأحل محل « الكلمة » المتجسدة عند النصارى « صورةً نموذجية » هي الأثر المعقول الذي تركه الخالق في المخلوق ، مع وضع نوعٍ من الاقتران الجرد بين كليهما (على حساب العلوِّ الإلهي) ؛ وهذه « العين » ، هي النبي محمد ، هذا النور النبوي الأزلي الذي يقال إن الله قال له : « كوني ! فلولاك ما خلقت السموات^(٢) » . وفي هذا قول بنوع من الحَمَل الطاهر للأمة المحمدية للمُصْطَفَيْن (ونحن نعلم في الواقع أن القرآن [سورة آل عمران : ٣١] لا يقول هذا إلا عن عيسى ومريم) ، دون أن يناظر هذا الدور الأزلي (للنبي محمد) دوراً آخرى نهائى . فبينما نجد في المسيحية أن هذا النوع (من الحَمَل الطاهر) لا يوجد

(١) [كلمة مسيح هنا مستعملة بالمعنى الأصلي لها عند اليهود ، وهو البشير الذي تنبأ بظهوره أشعيا ، وخصوصاً سفر دانيال الذي تنبأ بمسيح ، أو بشير ، يتبدى في الغمام ويلبس ثوب الناسوت ، وقد وكلت إليه مهمة حكم العالم وحسابه (راجع سفر دانيال ، أصحاب ٧ : آيات ١٣ وما يليها) — المترجم] .
(٢) [الخطاب موجه إلى قبضة النور التي منها خلق النبي والأمة الإسلامية عامة — المترجم] .

إلا مرتبطاً بالدور النهائي « للحاكم المخلص » (= يسوع) ، فإننا نشاهد عند هؤلاء المسلمين القائلين بوحدة الوجود أنه لا يتضمن مطلقاً أن النبي (محمداً) هو الحاكم في يوم الحساب (الأخير) . ولما كانت النهاية المبرمة ، عند الساميين ، عنصراً جوهرياً في فكرة « الإنسان الكامل » ، فإن خلو النظرية الواحدية القائلة بـ « عين الوجود » (الإسماعيلية ، ابن عربي) من الطابع الديناميكي النشوري قد سلبها كل تأثير في التطور الاجتماعي للعالم الإسلامي ؛ وهذا من شأنه أن يعفينا ، هنا ، من تمحيصها بالتفصيل ؛ وهي قد انبثقت عن تأليه فلسفي « للعقل الفعال » ، مع أن « الإنسان الكامل » الحقيقي الذي ينتظره المسلمون هو نوع من البشير (un Messie) .

وهنا يتدخل الاعتراض التقليدي ، ألا وهو : أليست الفكرة اليهودية عن البشير (المسيح) ترجع إلى أصل إيراني ، وتبعاً لهذا إلى أصل آري (ريتسشتين Reitzenstein) ؟ والفكرة الديناميكية الإسلامية عن الإنسان الكامل ألم تكن ، منذ البداية ، ذلك « المهدي » المنتظر الذي قالت به الشيعة الإمامية ، وهم كان معظمهم من الموالي الداخلين في الإسلام وكانوا من الفرس ، وبالتالي كانت هذه الفكرة آرية الأصل ؟

أجل ، إن التاريخ الإيراني كله في العهد التالي للعهد المزدكي قد نَمَّى نزوعاً خارقاً إلى العدالة (المُخَلَّصُونَ المنتظرون ، ساوشينت ، مِترًا ، بهرام ؛ سروش ، « الرُّسُلُ » legati المانوية) . لكن يلاحظ مع ذلك أن إيران قد ضَمَّت دائماً عنصراً ، طبقة من الكُتَّاب المُستَسَامِين^(١) ، من الممكن جداً أن يكونوا هم الذين ألهموها هذا المعنى في القرن السادس قبل الميلاد ، وهو العصر الذي نمت فيه النزعات القائلة بالبشير (Messie) ، تحت تأثير « المنفى » ، في الجالوت (= الجالية) البابلي ، بين أولئك المشردين الذين أُجِّلُوا عن أرض الميعاد ؛ وإيران في ذلك العهد قد تكشفت عن تسامح وتفهمٍ للنزعات القائلة بالبشير الناشئة آنذاك حتى سمحت بالعودة إلى القدس وإعادة بناء الهيكل . كذلك نشاهد منذ فجر الإسلام نشأة الفكرة البشيرية ، في اليمن العربية ، لابساً الفكرة القائلة « بمخلص » منتظر « يعيد العدل إلى نصابه » ، في صورة القحطاني ذي العصا ، « منصور اليمن » ؛ ولما كانت الجاليات

(١) [sémittes أي الذين صاروا ساميين أو كان قد كانوا كذلك ، كما يقول : عرب عاربة ، وعرب مصربة — المترجم] .

اليهودية والارثانية ، وكانت موفورة العدد آنذاك في اليمن ، لم تندرج ، عن طريق الولاء ، في القبائل العربية إلا بعد إسلامها ، ولما كان هذا القحطاني ، منصور هذا ، قد عدّ ، على التوالي ، كما فعل بنو كندة بالنسبة إلى ابن الأشعث ، وكما فعل بنو همدان بالنسبة إلى دعاة الشيعة (عبد الله بن سبأ ، منصور القرمطي) ، و بنو الحارث (بلحارث) بالنسبة إلى أحد الأئمة الكيسانية العباسيين (السّفّاح ابن الحارثية) ، فإن هذه الصور الإجمالية « للإنسان الكامل » المسلم تبدو لنا عربية صريحة .

ثم قامت بعد ذلك بزمان ، في موازاة وحدة الوجود الإسماعلية التي ذكرناها ، محاولة للتوفيق الهرمسي من أجل التوحيد بين « عين الوجود » وبين الحاكم يوم الحساب ، وهو أغاثاذيمون المذكور عند الهرمسيين اليونانيين الواردين في « رسائل » إخوان الصفا ؛ كذلك نشاهد أبا سليمان السجستاني^(١) يقول بأن السعادة العظمى هي في الوصول إلى مرتبة « الطّباع التام » الذي يتخلع عليه جلال الربوبية (الربوبية ، عند الكندي ؛ راجع «الماجد» المنسوب إلى جابر بن حيان ، نشرة ياول كروس Paul Kraus) .

لكنّ هذه القسّمات وأمثالها من شأنها التضييل . فمما قليل سنشهد أن النظرية الإسلامية الخالصة في الإنسان الأول إنما تمت ، هي ومقتضياتها النشورية كلها ، بطريقة محورية ، عن طريق القرآن نفسه ، وذلك بتدبر نصه العربي تدبراً سنياً مستقيماً .

ولقد تلمس كازانوف Casanova إثبات أن محمداً كان يعتقد في نفسه أنه « نبيُّ فناء الدنيا » ، وإذن هو الإنسان الكامل . بيد أنه يلاحظ أن القرآن حينما يقول : « وإِنَّه لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ » (سورة « الزخرف » : ٦١) إنما يتحدث عن عيسى ، لا عن محمد ، وإلا كان في ذلك وَضْعٌ من قدر إخلاصه في الإيمان بأن الله مركز الكون (لا الإنسان) ، ومن قدر تعبده لما قرأ من قرآن . ماذا ! بل « كلام الله » هذا هو نفسه الذي أمره ، لا بتحقيق فناء الدنيا ، بل بالتذكير بهذا الفناء ، تذكير الأمة الإسلامية بأسلوب أشد وقعاً من التوراة عند اليهود ، والإنجيل عند النصارى . ومنذ القرن الأول صارت « سورة الكهف » تقرأ

(١) السجستاني ، مخطوط كراوس ، الرسالة الثالثة : « في الكمال الحاصر بنوع الإنسان » .

للعياذ من المسيح الدجال (منظوراً إليه على أنه يأجوج ومأجوج ؛ « سنن » ابن ماجه ، ج ٢ ص ٥١١ ، ٥١٣) . وفي حَجَّةِ الوداع ، بيّن النبي في عرفاتٍ شعائرِ الوقفة بصورة ذات دلالة نشورية غربية ؛ فمع إبقائه على الحج طلباً لغفران الذنوب ، « أدخل العُمرة في الحج إلى يوم القيامة » ؛ فتجاوز الأفق الشرعي « الحَرَم » (« صرنا في الحِلِّ ») ، وتجاوز الرُّبَا ، والأخذ بالثأر ، واستعباد المرأة ؛ وقربان الفؤاد ، ينطلق ، في دعاء حُرِّ ، إلى طلب المغفرة ، وفي الأفق تتراءى الجنة وقد أزلت للمتقين غير بعيدٍ وهي تنزل من السماء كالعرُوس ، مع « نزول الله » (راجع سورة « ق » : ٣٠ ، وفارن ذلك بما ورد في سفر « الرؤيا » المنسوب إلى يوحنا) . أما محمد فينحاز ، شخصياً ، ينحاز (مثلاً فعل إبليس ، كما سيقول الحلاج) في داخل نطاق عبادة تغار على العبادة الخالصة للعبادة الأصلية ، تاركاً للتأمل القرآني عند الحجاج المسلمين الأتقياء مهمة تحقيق هذا « الإكمال للدين » في نفوسهم ، إكمال الدين الذي أعلنه ذلك اليوم (في حجة الوداع) ، قبل موته المبكر ببضعة شهور ، هذا الموت الذي كان أول « مصيبة » لقناء الدنيا . وهذا التحقيق هو تقديس « الأبدال » الذين أسلموا كل قيادهم لله مقتدين بإبراهيم .

وإنما استشعر الإسلام الوليد — وقد قصرت الأحاديث ذات الطابع الحرفي المغالي مما جمعه جماعو التفاسير والمُسْتَدَات — نقول إنه استشعر الأثر الفعال الواهب للقداسة ، أثر التأمل الجماعي لنهاية الدنيا ، عن طريق سنِّ الشعائر غريب .

فسرعان ما أدرك القوم ، في المدينة ، الأهمية المنقطعة النظير لإحدى السور القرآنية ، وهي سورة « أهل الكهف » ، فكانت تقرأ للعياذ من (شرِّ) الدجال ، حتى صارت النص الشعائري الثابت الذي يُقرأ منذ ثلاثة عشر قرناً في بلاد الإسلام كلها في الصلاة الكبرى الجامعة كل يوم جمعة ، (حديث نافع^(١)) . وهنا يشاهد أن أول موضوع تُعرض له هذه السورة ، وهو موضوع أهل الكهف السبعة في أفسوس ، يبيّن كيف أن هؤلاء المؤمنين الفتيّة — وقد أووا إلى الكهف ، رافضين الارتداد عن دينهم — قد أرضاهم الله وهياً لهم

(١) نافع : ورد في « لسان الميزان » ج ٥ ص ١٥٢ . وقد أرسل اثنان من الحفقاء في القرن الثالث (= التاسع الميلادي) بعثات إلى كهف أفسوس وإلى سور دربند العظيم (البيروني : « الآثار الباقية » ص ٢٨٥ ؛ ياقوت : ج ٣ ص ٥٦) .

من أمرهم رَشَدًا ، « يُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ » ، وقد « لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا » ، والله أبقى عليهم ليكونوا شهوده يوم الحشر . والموضوع الثاني — وهو موضوع موسى ورسول الله (الخضر) — يبين لأحد الأنبياء (موسى) أن سرَّ الله إنما يتكون من كل أسرار القلوب التي لا يطلع عليها إلا الأولياء ، الواحد بعد الآخر ، وهم في الحضرة اللدنية (قارن سورة « ق » : ٣٦) . والموضوع الثالث يبين السد العظيم الحافظ للعالم المتمدين ، السد الذي تهدد باختراقه جحافلُ (الترك) يأجوج ومأجوج (= الدجال) (راجع سورة « الأنبياء » : ٩٦ : « حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ») .

وفي سائر السور كان تمت آيات مفردة ذات رنين نشورى ، تشيع الآمال الثورية في قلوب « المُسْتَضْعَفِينَ » في الأرض ، وبخاصة « الموالي » (وكانوا غير عرب دخلوا الإسلام ، ويكاد على أن يكون هو وحده الذي حماهم ودافع عن حقوقهم) . ففي عهد عمر (بن الخطاب) عذَّب صَبِيغُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيَّ لأنه فسَّر سورة « الذاريات » (والذاريات رياح السموم التي يعذب بها الكفار) تفسيراً ملحمياً (راجع بعد رقم ١٩٦ من « خطبة البيان ») . وفي عهد عثمان قام أبو ذرَّ (الغِفَارِيُّ) يعلن اقتصاص الفقراء والمساكين من الأغنياء والتكبيرين . وذلك النوع العربي الصميم من « المثالب والمفاخر » ، وقد ارتفع من مستوى النزاع بين القبائل إلى المستوى الملحمي الذي نجد نظيره عند دانتة Dante وليون بلوا Léon Bloy ^(١) ، قد اتخذ أحياناً أسلوباً من البلاغة المتهمكة القاتلة ، يلحن فريقاً وبيبارك على فريق آخر ، ويحطم الطابع الجمالي السكوني للأشكال المألوفة ابتغاءً إشاعة سَوْرَةِ عظيمة غائية . ولقد قال

(١) [ليون بلوا كاتب فرنسي ولد في بريجه Pèrigueux سنة ١٨٤٦ وتوفى في بورلارين Bourg-la-Reine من ضواحي باريس سنة ١٩١٧ . وبدأ حياته الأدبية وشهرته بنشر كتاب بعنوان : « أقوال مقول هدام » (سنة ١٨٨٤) هاجم فيه بعنف بالغ أشهر الشخصيات الأدبية في عصره . وكان حاد اللهجة عنيف الحصومة قوى الأسلوب . اتجه اتجاهها دينياً كاثوليكياً وسائر باريه دورقلى Barbey d'Aurevilly . ومن مؤلفاته : « السائل الجحود » (سنة ١٨٩٨) ؛ « الحاج إلى المطلق » (سنة ١٩١٤) ؛ « على وصيد الملحمة » Au Seuil de l'Apocalypse (١٩١٦) . ومن رأيه أنه من حيث الملاحم والمصير الأخير لا بد من إقامة حكم الدين ، وحارب أهل عصره لمشاركتهم في العصر الحديث والمدنية العصرية . وهو عدو لدود للمجتمع البورجوازي : فعارض بالمطلق النزعة العلمانية ، ورسالة الفقير النزعة النفعية ، وبسر القوى العمياء التي يثيرها الله النزعة العلمانية الديمقراطية . وتقبل تأييد هذا المذهب العملي بكل شجاعة ، فماش بائساً ، سعيداً بأن يحترق في زمرة الشعب مؤثراً فيه البساطة والعظمة . ونزعته الدينية تنطوي على كثير من الوحشية والغرابة وروح المفارقة حتى إنها أذهلت رجال الكنيسة — المترجم] .

ترتوليانوس : « في سفر الرؤيا يجندل نظام الأزمنة »^(١) .

وعلى هذا النحو تكلمت « روح » الأنبياء في بني إسرائيل ؛ لكن اليهود في ذلك الحين قالوا : « قلوبنا غُلفٌ » وأصمّوا أسماعهم (« البقرة » : ٨٢ ؛ « النساء » : ١٥٤) ، وقالوا كذلك « يدُ الله مغلولة » (« المائدة » : ٦٩) ، مع أنهم هم الذين لن يكونوا أحراراً أبداً إلى يوم القيامة . وكذلك في « رؤيا » يوحنا الموجهة إلى الكنائس السبع النائمة (قارن أهل الكهف السبعة النائمون) ، نشاهد أن إعلان عود Parousie الحاكم المنتقم ، والروح الطاوية لكل تاريخ الإنسانية المزود بالناية (الإلهية) ، كل هذا قد عبر عنه عيسى بصيغة ضمير المتكلم : « أنا الألف والياء » ، (قارن في « الإنجيل » : « أنا الطريقة والحقيقة والحياة ؛ أنا الباب ؛ أنا الراعي الصالح ... ») ؛ لكن النصارى في ذلك الحين ، حتى الرهبان منهم ، لم يرعوا طريقة الله حق رعايتها (سورة « الحديد » : ٢٧) ، بحيث يقدرّون على تكوين « أناسٍ كَمَلٍ » ؛ ومن هنا جاءت خلافتهم التي لن تنتهى أبداً .

والقرآن ، وهو يتوعد المارين المخالفين ، من اليهود والنصارى ، بالعقاب الإلهي ، لا يعد المسلمين بعود الخطبة^(٢) ولا بلوغ القداسة في العالم الآخر ؛ بل يطوى سِجِلَّ المصير ، بنوع من الارتداد الطاوي إلى الوحي المنزل على إبراهيم ، ويتوعد المنافقين من المسلمين بمثل ذلك العقاب المباشر : « لن يجيرني من الله أحدٌ » (سورة « الجن » : ٢٢) ؛ « لا شخصٌ غيرُ من الله » (البخارى ، باب « التوحيد » عند نهايته) .

والنجاة فرضُ عينٍ لا يغنى فيها أحدٌ عن أخيه ، وما كان الحجّ فرض كفاية إلا مؤقتاً ؛ ولهذا كان على الإنسان الكامل أن يتجنب قانون الأنساب . وهنا الإسلام يفضّل اليهودية في إدراك هذا الجانب ؛ ولهذا فإنه ، أى الإسلام ، يرى في الإنسان الكامل — من الترمذى حتى ابن سبعين — أنه خاتم الولاية ، روح عيسى : إما على صورة أحد حواريه الملهمين به (المقدسى ج ٢ ص ١٧٢ ، مثل : ابن هود المتوفى سنة ٦٩٩ ؛ قارن عند الدرور الأبدالية : سلمان — حمزة) ، أو على هيئة قيامته أمام الأولياء (ثم الصلحاء) وخدمهم ، ثم أمام الملأ أجمعين (في رأى الحلاج)^(٣) . وقيامه عيسى للحكم (بين الناس) قد ربطها

(١) In Apocalypsi, ordo temporum sternitur

(٢) [الإشارة إلى وعد الله للنصارى بخطبته إلى الكنيسة — الترجم] .

(٣) « روايات الحلاج » ، ٢٣ ؛ سورة « النساء » : ١٥٧ .

القرآن ثمانى سرات بكلمة الحضرة : « كُنْ » الخالقة بالنسبة إلى يوم الحساب^(١) ، فيكون عيسى مجرداً ، مثله مثل التصور البكر لعذراء طاهر ، أو مثل ذلك الحق الذى هو خاتم الخلق : « لا مَهْدِيَّ إِلَّا عَيْسَى »^(٢) .

ولقد التاث التفكير الإسلامى مع ذلك أمام هذه الواقعة وهى أن عيسى ، فى مجيئه الأول ، لم يفتح هذا « الخاتم » ، ولم يَعْذُرِ اللهُ فيما كان منه من ترك العادلين يُضْطَهَدُونَ ؛ كذلك « الإنسان الكامل » حينما يأتى سيكون — بوصفه « الشاهد » — غير قابل لأن يقهر ، — وبوصفه ينبوع حياة — لا يمكن أن يُقْتَلَ^(٣) . لقد قال : « سيأتى من ينتصف لى » (يوحنا : ٨ : ٥) . أسيكون ثمت شخص آخر ، تلهمه روح عيسى ، هو الذى يشيع العدالة المنتقمة التى يتطلب الإسلام ، فى جهاده الدينى المقدس ، مجيئها ؟ « أنا عيسى الزمان » ، هكذا تقول ترنيمة شيعية على لسان على^(٤) (راجع بعد فى تحليل « خطبة البيان » رقم ٢٦٠) . وإن أقلية نامية من غلاة الشيعة ليجعلون من هذا « المنتقم » (المظلومين) غير المذكور اسمه (« القائم » ، « المنتظر » ؛ « المهدي ») واحداً من بيت الرسول ، أى فاطميا ، علويًا . ويؤكد البلاذرى (« الأنساب » ، راجعه فى « مجلة الدراسات الشرقية » RSO ج ٦ ص ٤٩٥) أنه منذ موت على فإن أربعة من غلاة شيعته^(٥) قد تناقلا عنه خطبة غربية . وأياً ما كان الأمر ، فإنه ، منذ ١٢٠ هـ ، تناقل القوم « خطباً » ذوات قيمة ملحمية نسبت إلى على^(٦) ، و « وصية » ، و « جَفْرًا » (والجفر نوع من التفسير الملحمى للقيم العددية للأحرف الساكنة الواردة فى أوائل كثير من السور القرآنية) .

(١) القرآن : ٢ : ١١١ ؛ ٣ : ٤٢ ، ٥٢ ؛ ١٦ : ٤٢ ؛ ١٩ : ٣٦ ؛ ٣٦ : ٨٢ ؛ ٤٠ : ٩٧ ، (فى رأى مقاتل ، راجع كتابنا « مجموع نصوص » ، ص ١٩٧ ؛ « عذاب الحلاج » ، ص ٥٢٠) .

(٢) « لا مهدي إلا عيسى » : حديث الشافى (الحسن البصرى ، بطريق محمد بن خالد الجنيدى) ؛ الذهبى ، « ميزان الاعتدال » ج ٣ ص ٥٢ ؛ « لسان اليزان » تحت اللفظة ؛ السبكي ، « الطبقات » ج ١ ص ٢٨٠ — ص ٢٨١ ؛ ابن خلدون ، « المقدمة » ٢ ، ١٨٨ — ١٨٩ ، ١٩٤ ؛ القندوزى ، « البيانع » ، ص ٤٣٤ ؛ القنوجى ، « الإذاعة » ص ٦٤ ؛ وفى سنة ٧٤٩ جعل فى معارضة أحد الشيعة (مهدي سائى) ، ولكن السلطة لعيسى وحده ؛ ولقب « السفاح » هو لقب ملحمى أطلقه الشيعة على على^(٦) . فارن الأسماء الملحمية التى تلقب بها العباسيون (المنصور ، المنتصر ، المهدي ، القائم) عند الخطيب البغدادي (« تاريخ بغداد » ج ٩ ص ٣٩٩) وعند ابن خلدون (ج ٢ ص ١٨٣) .

(٣) على وفاء ، أورده الثمراوى فى « لوائح الأنوار القدسية » ، تحت اللفظ .

(٤) حجر بن عدى ، عمرو بن الحنق الخزاعى ، حبة بن جوين البجلي ثم العرنى ، عبد الله بن وهب الهمداني (= ابن سبأ) ؛ فارن أصنع ، الحارث الهمداني ، رشيد الهجرى (اليفى دلايقدا) .

والجفر إذا استخدم في مسألة « الإنسان الكامل » فذلك إما للقول بأنه هو « الميم »
(= ٤٠ = محمد) ، أو « العين » (= ٧٠ = علي) ، أو « السين » (= ٣٠٠ = سلمان ؛
عيسى ؟) . وفي رقمي ١٤٤ و ١٤٨ (بعدُ في تحليل « خطبة البيان ») ينظر إليه على أنه هو
قيامه عيسى في نظر المسلمين . وأخيراً نقول إن « الصَّيِّحَة بالحق » ، تلك الصيحة الكونية ،
(القرآن : سورة « ق » : ٤١) ، وهي صيحة نوح وصالح ، هي الأصل في قول الحلاج : « أنا
الحق » ، وهذا القول صرخة ثورة أشعلت نار ثورة الأتراك ، وليس فكرة سكونية
(استاتيكية) .

ولنأخذ الآن في الامتحان التفصيلي للعناصر الثلاثة المميّزة لهذه النصوص الملحمية التي
استعين بها في وصف مجيئ « الإنسان الكامل » ، خلال الأزمات والمصائب .
ولنبداً بالجفر ، هذا الاستخدام العددي للحروف القرآنية المنفصلة (وهو تفسير الإمام
جعفر الصادق ، فيما يرى هارون بن سعيد العجلى ، راجع « مقدمة » ابن خلدون ج ٢
ص ٢١٤) . فالإسماعيلية والدروز قد أبرزوا الجانب السري في طائفتين من الحروف
الاستهلاكية الخماسية في سورتي « مريم » (كهيعص) و « الشورى » (حم عسق) ، وسموا الطائفة
الأولى (كهيعص) باسم « حروف الصدق » ، والطائفة الثانية باسم « حروف الكذب »
(ضد النصيرية الذين يقرأون الطائفة الثانية هكذا : ثلاث عين — ميم — سين هو الحق)
(قارن في العبرية : « أمث » ، الحق = خاتم الله ، في « تلمود أورشلين » ١٠ : ١٠ ، و « التلمود
البابلي » : شبت ١٥٥ ، « تلمود أورشلين سنهدرانى » : ١١٨ ؛ أدين بهذه الإشارة إلى ف .
فيشل W. Fischel) . والعدد الأول = ١٦٥ ، والثاني = ٥١٨ ؛ ويمكن أن يتدخلا معاً
في التاريخ الصوفي لعذاب الحلاج (بوصفه « الإنسان الكامل ») من أجل سلامة بغداد ؛
لأن الحديث المشهور الذي رواه أرطاة (أورده نعيم المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، والطبرى) يجعل
الطائفة الثانية (٥١٨) تاريخ تخريب المدينة المزدوجة ، مدينة بغداد (وهي في الواقع قد
أسست سنة ١٤٤ هـ ، ودُمِّرت ، بوصفها العاصمة ، في سنة ٦٥٦ ، ونقلت الخلافة منها إلى
القاهرة في سنة ٦٦٢ هـ ؛ و ١٤٤ + ٥١٨ = ٦٦٢ ؛ وقد قرأ الحلاج وهو يوجد بنفسه « آيته »

وهي الآية ١٧ من سورة « الشورى » : « يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِنِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) .
والطائفة الأولى (١٦٥) إذا أُضيفت إلى ١٤٤ يكون حاصل الجمع ٣٠٩ وهي سنة وفاة الخلاج (= أيضاً طا + سين = ٩٠٣ ، وهو مجموع الأحرف الاستهلاكية القرآنية ، وهو ٣٠٩ مقلوباً) و ٣٠٩ هو عدد « تجوهر الخليل » (الششترى) ، وعدد سنوات رُقاد أهل الكهف (سورة « الكهف » : ٢٤) . وقد استخدم ابن أبي واطيل ، من تلاميذ ابن سبعين ، الطائفة ٦٨٣ (خا - فا - جيم) ، ثم ، تبعاً للكندى الطائفة ٩٨ (صاد - حاء) ، فحصل على السنة ٦٩٨ وجعلها سنة قيامة المسيح (عيسى) الذي رأى عامر البصرى الصوفي أنه في تلك السنة تحقق في شخص المهدي الكاذب الأردستاني (المتوفى سنة ٦٩٩ ؛ على أساس أن الإسلام سيبقى ٦٩٣ سنة في رأى الكندى) .

ويتلو هذا أن تتحدث عن موضوعات المصائب اليهودية المسيحية : «الفتن» ، «أشراط الساعة»^(١) ، وهي موضوعات أعاد القرآن ذكرها وركزها وأوضحها على أسلوبه الخاص : طوفانات المياه ، أمطار من نار ، مذابح في أما كن العبادة . ويميل القرآن إلى إهمال الطواعين ، ومن بين علامات السماء يحتفظ بالقمر (العُرْجُون [الإشارة إلى الآية ٣٩ من سورة يس : « والقمر قدرناه منازلَ حتى عاد كالعُرْجُونِ القديم »]) . ويعود دائماً إلى الكوارث المفاجئة في الماضي ، مُسَجِّلاً طابعها الدؤرى المتردد بانتظام في تهديداتها الملحمية . فالطوفانات تُفَرِّقُ مدن الفساد والضلال (فالكوفة أصيبت بفيضان « تنور » الطوفان الذي كان عقاباً عن دعوى نكاح الجن قرب سجن الملكين ييا بل : هاروت وماروت اللذين أغوتهما نهيدي ، سورة «البقرة» : ٩٦ ؛ — أما البصرة فستطمر في الأعماق — بعد أن عوقبت سنة ٨٦٨ — لأنها لم تستمع لنداء غلام خليل الحنبل الذي دعاها إلى الطاعة والتوبة ؛ قارن هذا بمدينة مرسيلىا التي أندرت بعد الطاعون) . وأمطار من نارٍ تدمر العواصم التي

(١) نعيم بن حماد : « كتاب الفتن » ، مخطوط الاسكوريال ج ٢ رقم ١٥٣٦/١٥٣٧ ؛ وقد اختصره العز المقدسى ، مخطوط عاطف رقم ٦٠٢ (مجلة الحضارة الإسلامية *Isl. Cult.* ج ٣ ص ٣٦١) ابن المناوى (المتوفى سنة ٣٣٤) : « كتاب الملاحم » ؛ وقد انتفع بها السيوطى في « العرف الوردى في أخبار المهدي » (ورد في « الحاوى » ج ٢ ص ٥٧ — ص ٨٦) .

تعصى الله (سدوم ، عاد ، ثمود ، مدين) والإنداز الموجه إلى بابل في سفر « الرؤيا » ، وهو صدى لدمار برج بابل ، يقصد روما ولندن وباريس (إشارة من صيحة كبرى ، كما حدث بالنسبة إلى نوح وصالح ، كذلك مدينة بغداد المزوجة ، هذه « المدهامتان » الأرضية ، قد أنذرت منذ البداية (حديث أرطاة^(١))) بخرابها (قارن نهب الغول) ، وقد صاح الحلاج صيحتها المتوقعة (« الصيحة » ضد « البشري ») .

وفي المذابح التي تخرب فيها مدن العبادة ، تتحدث الملاحم عن رمز يعالج القرآن إيضاحه في مقصدين .

فكما أن أورشليم قد عوقبت وخرّبت ، فكذلك ، أو الكعبة على وجه التخصيص ، سيلحقها الدمار . وبيننا نشاهد أن سفينة العهد قد قذف بها في بحيرة طبرية (أو عند أنطاكية) ، نجد أن حجة الوداع التي قام بها الرسول كانت تهيئة الدمار الرمزي للكعبة . فالنبي يادخاله العمرة (— وهي مجاورة الحرم للعبادة والنسك) في الحج (— تقديم الضحية على عرفات) إلى يوم الحساب^(٢) ، قد أراد أن يفهم الناس أن البيت الذي نكون فيه أمام الله في إحرام ، أعنى بدننا ، يجب أن يدمر في نفس الوقت الذي تذبح فيه الضحية ، وذلك في اللحظة التي نقدم فيها أنفسنا فوق عرفات كأنها « الذبح العظيم » الذي ترمز إليه الأضاحي التي نذبحها من الحيوان ، فنستحيل آنذاك ، وفي مقابل هذا ، كما يرد في رقم ١٠٥ من « خطبة البيان » ، إلى « مائدة الكشف » ، أي مائدة الوجد المواسي (قارن : الطمانينة^(٣)) ، وهي العلامة التي تواسى المسيحيين الصادقين حتى يوم الحساب ، المتمثلة في شعيرة « العشاء الرباني » التي أعطيت في مستهل « العذاب^(٤) » المدمر . وفي هذا نرى أنه كما أن الإسلام قد رد « التغطيس » (المعمودية) إلى معنى « الفطرة » ، أي إلى نور فطري أصيل ، فإنه كذلك يتراءى له « العشاء الرباني » كعلامة نشورية ، أي على أنه الإكمال العقلي لنوع معقول

(١) الخطيب البغدادي : « تاريخ بغداد » ج ١ ص ٤٠ ؛ الطبري ، تحت المادة ؛ وراجع ما أورده المقدسي ج ٤ ص ٩٧ -- ص ٩٨ خاصة بخراب مدن أخرى هلا عن مقاتل .

(٢) الحلبي : « إنسان العيون في سيرة الأمين والمؤمن » (المعروف « بالسيرة الحلبية ») ج ٣ ص ٢٩٧ ؛ ابن تيمية : « الرسالة السبعينية » ص ٩٣ .

(٣) مواساة تثبت قواعد الصلاة في الله (الشافعي) .

(٤) [العذاب Passion أي عذاب صلب المسيح وما تقدمه وأحيط به من آلام عاناها — المترجم] .

يواسى مواساة إلهية (الظمأنينة عند النصارى — السكينة عند اليهود) . وفي الكتاب الذى بعث به الخلاج إلى شاكر بن أحمد ، فى الوقت الذى تمهياً فيه الثوار القرامطة لذبج أهل مكة وتدمير الكعبة ، كتب يقول له بأن « يهدم الكعبة (هى ومعبد بدنه) ، وبينها بالحكمة (الميلاد الثانى) : حتى تسجد (أى الكعبة) مع الساجدين ، وتركع مع الراكعين^(١) » . وبينما كان أصحاب التفسير الحرفى فى عصره لا ينشدون فى النبوءات الخاصة بخراب مكة إلا إمكان رؤية هزيمة الحبش فى سنة ٥٧٠ قد عوضت بحبش آخرين ، لعلمهم القرامطة ، فإن الخلاج قد تحقق له أن البعث المجيد لهيكل بدنه يتوقف على حبة خردل (= بُضْعَةٌ مِنْ بَدَنِهِ الْمُحْرَقِ قَرْبَانًا لِلَّهِ) ، فأفضى عن هذا الطريق بالرموز الشورية لحجة الوداع للنبي إلى تمام غايتها .

وهذا التشخيص للكعبة فى شخص الإنسان الكامل يقودنا إلى ملاحظة أن موضوعات « الملحمة » الكبرى (= هجوم النصارى الروم على الإسلام ، هجوماً يبدأ بنقض الهدنة ، وينتهى بالاستيلاء على القسطنطينية) تُفَضَّى أيضاً إلى رسم صورة جانبية لهذا « القائم » ، هذا الزعيم الذى ينتصف للظلم ، وسيملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً . ولمعرفة هُوِيَّتِهِ ، جرى ما جرى بالنسبة إلى الضحية التى طُلب من إبراهيم تقديمها ، فقد رأى الإسلام (ابن حنبل) فيها أولاً أن المقصود هو إسحق ، ثم نزع عرق العنصرية فرأى فيها إسماعيل . أما فيما يتصل « بالقائم » ، فقد أجمع أهل السنة أولاً على أن يَرَوِّفِيهِ أَنَّهُ هُوَ عِيسَى الَّذِي سِعَمُودَ ظَافِراً — لا متحملاً للعذاب والآلام — ، أو زعيماً لا يُقَهَّرُ تَهِيْطُ عَلَيْهِ رُوحَ عِيسَى ، ويهتدى بهدايته ، إن لم يكن هو عيسى نفسه : وفقاً للحديث المشهور الذى رواه الحسن البصرى والشافعى ، وهو حديث يسمح بهذين التفسيرين ، ونعنى به : « لا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى » . وإلى جانب أهل السُنَّةِ ، نرى فريقاً من الشيعة فى القرن الثانى (المستنيرية ، والمنصورية) وقوماً من المعتزلة فى القرن الثالث (أحمد بن حابط ، والفضل الحُدثي) قد اعترفوا بهذا الحديث فى مضمونه ، إن لم يكن فى صورته التى تُشتم فيها روح المناظرة والجدل العباسى ضد الشيعة . وعند نهاية القرن الثالث كان لا يزال يقول بصحته نفر كبير من المُحَدِّثِينَ السُّنِّيَّةِ : ابن ماجة ، وابن

(١) ابن دحية : « النبراس » ، ص ١٠٣ : « اهدم الكعبة وابنها بالحكمة حتى تسجد مع الساجدين وتركع مع الراكعين » .

خزيمه (المتوفى سنة ٣١١م) وابن زياد اليبسبوري، وابن أبي حاتم الرازي (المتوفى سنة ٣٢٧م)،
والساجي البصري (المتوفى سنة ٣٠٧م)، والقزويني قاضي دمشق (المتوفى سنة ٣١٥م)،
والطحاوي من القاهرة (المتوفى سنة ٣٢١م)، ويعقوب الاشرائيني (المتوفى سنة ٣١٦م)، والطرائفي.
وهذا العرق المتصل من التفكير الإسلامي في «هداية عيسى»، الذي بدأه الترمذي،
قد استمر بعد ابن عربي؛ ففي مراکش، منذ قرنين، كان تمت مدرسة بأكلها، من أبي
مهدي عيسى الثعالبي (المتوفى سنة ١٠٨٠م؛ راجع: الكتاني، «فهرس»، ج ٢ ص ١٩١)،
حتى محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي (المتوفى سنة ١١٣٤م) وتلاميذه (الإفراني المؤرخ
المتوفى سنة ١١٥١م، ومحمد أبو عبد الله بن ناصر الدرعي التمغوتي (التمجروقي) المتوفى
سنة ١١٥٨م) كل أولئك كانوا يرون أن هذا الحديث معناه أن عيسى (روح الله) هو الشيخ
الهادي إلى الطريقة المثلى في الحياة، وأن هذا هو «مجيء الإنسان الكامل».

لكن إذا كان شخص بمفرده، في القرن الأول، وهو ابن سيرين، قد آثر أن يرى في
«القائم» أنه «القحطاني»، — فإن أقلية متزايدة من الشيعة قد رأوا فيه علويًا، ثم
حصروه في نسل فاطمة؛ وهذا الاعتقاد قد صار منذ تسعة قرون الاعتقاد السائد عند
أغلبية المسلمين.

وهذا «الفاطمي» (أي الذي من نسل فاطمة) شاب من السلالة الشرعية (أهل
البيت) فرّ وأخفاه أتباعه (فترة «الكهف»، في سورة «أهل الكهف»، عند الإسماعيلية)؛
وهذا «العائد» قد أعلنت خلافته رغما عنه، وحكمه الحربي لن يستمر أكثر من تسع سنين.
ويظن فريق أنه سيكون تمت مهديون ثلاثة^(١) قبل مجيء «الدجال»، كما سيكون تمت
ثلاث «كرات» «للرجعة» (البعث) التي ستنتصف (للمظلومين) من الظالمين أمام الملائكة؛
والمهدي الثاني هو الحسين (= المنتصر) أول الشهداء ونموذجهم الأصيل، والمهدي الثالث
هو أبوه علي (= السّفاح). وسواء اتصل الأمر بهزيمة الروم (— بنو الأصفر)، التي

(١) مهدي الخير، مهدي الدم، مهدي الدين؛ وكذلك ثلاثة سفيانيون «كما في سفر دانيال»
(السيوطي: «الحاوي»، ٢، ٨٤، ٧٨)؛ ٣ «رجات لعيسى» (محمد بن حامد الترمذي، أوردته
الشعبي: «الجواهر الفريد» ورقة ٣٢ ب مخطوط، القاهرة مجموع رقم ٢٢٩)؛ ٣ خسفات (ابن ماجه:
ج ٢ ص ٥٠١).

أشار إليها القرآن ، (سورة « الروم » : ٢٢١ ، في عهد كسرى ، — ومن هذه الإشارة سيمنتج ابن بَرَّجان استرداد أورشليم ، وذلك قبل استردادها فعلا في سنة ١١٨٧ (من أيدي الصليبيين) بخمسين سنة ، — أو اتصل بالاستيلاء على القسطنطينية « بفضل الصلوات ، لا بالسيوف والرماح » (ابن عربي : « عنقاء مُغْرِب » ، طبع سنة ١٣٥٣ ص ١٠ ، ٦٨) وهو استيلاء وعدت به الأحاديث قبل ذلك بستة قرون (قارن سورة « البقرة » : ١٠٨ [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ، لهم في الدنيا خِزْيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم]) ، لكن الأحاديث تتردد في نسبه إلى « القائم » نفسه أو إلى شاهد ثانٍ (يشبه أن يكون مزيجاً من الشاهدين المذكورين في « رؤيا » يوحنا ، والشجرتان الزيتونتان المباركتان الوارد ذكرهما في تلك الرؤيا قد ضما في واحدة في الآية ٣٥ من سورة النور [الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دريٌّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ ، نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء]) . وهذا الشاهد الثاني ليس هو مع ذلك « الإنسان الكامل » تماماً ، وذلك لأنه الروح الطاهرة ، والعبء الصالح (الخضر — إيليا) الذي سيُهزَمُ ويُستشهد . وإنما سيبدأ بأن يكون المُضطَّهد ، وحامل اللواء ، لواء الفتنة في بلاد الترك ، على رأس جيوش ألويتها سود (قارن ألوية العباسيين ؛ أو خمسة ألوية : أبيض وأزرق وأصفر وأحمر وأخضر ، عند الدرّوز) ، فيطرد الشفّيانى (وألويته الخضر معلّمة بعلامة الصليب) وأعوانه الكلبيين (من بنى كلب) ، ويلحق بالأبدال السبعة في الحجاز (أو السبعة الراقيدين في الكهف : وقد جاءوا من بَيْسان) والعصائب الأربعين (الآتين من العراق) لمبايعة القائم (أو المهدي) . وينتهي دور الشاهد الثاني بموته أمام القدس . واسمه يختلف بحسب المصادر : القحطاني ، أو المنصور ، أو شُعَيْب ، أو المولى التميمي . وأصله من طالقان (في جُوزجان ^(١)) ، وهذا هو الأصل في فتنتين ملحميتين ، حدثتا في سنتي ٢١٩ ، و ٣٠٩)

(١) فيما يتصل بمحدث طالقان ، راجع المقدسي : « البدء والتاريخ » ج ٢ ص ١٥٧ ؛ « أخبار الملّاج »

ص ٤٨ . باريس سنة ١٩٣٦ ؛ القندوزي : « الينابيع » ص ٤٤٩ . (قارن ابن بابويه « الإكمال »

وإلى جانبه يذكر ، بمثابة الجنود الأول للقائم ، موقع متقدم سيُخسف (ثلاث مرات) في الحجاز ، والصفوة المكونة من ٣١٣ نفر (وهو عدد أصحاب جدعون^(١) — طالوت ، وعدد المنتصرين في موقعة بدر) .

وبعد القضاء على النصارى يبدأ الجهاد ضد اليهود وقد ترأسهم « الدجال » (= المسيح الدجال ، التصوير العبري للمسيح المضاد للمسيحية ، وآخر سلسلة من ٢٧ صاحب بدعة ؛ = « ابن أَسْفُفِّ وراهبة عبرية » ، كما يرد في نصِّ مسيحي مشهور) ؛ وسيفعل من المعجزات ما فعل عيسى ، ويحتل الصحراء وجميع موارد المياه العذبة (طبرية ؛ ييسان ، زُغَر) ، ويرد الناس إلى دينه ، ويحاصر المدينة (مُعَسْكَراً في الظريب الأحمر = الكتيب الأحمر^(٢) ، مكان المباهلة) ومكة والقدس وشبه جزيرة سينا . هنالك ينزل عيسى ، أو زعيم حلَّت فيه روح عيسى ، ينزل من السماء على المئذنة البيضاء في شرق دمشق^(٣) ، وينتصر على الدجال ويقتله في اللد^(٤) ، ويذبح الخنازير ، ويحطم الصليب . والأحجار والأشجار (إلا الفرقَد) تعينه على القضاء على كل اليهود المار بين (واليهودى يعنى هنا ، وفقاً للفقرة ١٨ من عقيدة الدرور ، المسلمين السُّنَّيين الحرقِيِّين) . ويلاحظ أن هذا الوصف القديم في تعارض مع تاريخ « القائم » الفاطمي . ويلوح أن الخصبى ، وهو شيعى ، يخلط بين الدجال وبين السُّفْيَانِي الذي يسميه « عثمان بن عنبسة الغنريت » .

ومسألة أخرى عتيقة (« في رؤيا » يوحنا) هي مسألة « الدابة » ، وهي هنا ذات دلالتين (وأحياناً يقال إنها على) ، الدابة التي بين الدخان والنار (التي تملن يوم الحساب و) التي تضيء من عدن حتى بُصْرَى (أو من أصفهان حتى بُصْرَى) .

(١) [أحد قضاة بني إسرائيل . حطم في أورفا المذبح والحطب الحاصين بعبادة البعل . ودعا الشعب إلى حرب أهل مدين والعالقة الذين ذبحوا إخوته . فانتصر في يوم مشهور من أيام إسرائيل يعرف بيوم مدين . وقد خلف سبعين ولداً ذبحهم جميعاً ، إلا واحداً هو يوثام ، أيمملك وهو أخوهم غير الشرعى — المترجم] (٢) ابن ماجة : « السنن » ج ٢ ص ٥١٤ ؛ راجع بحثنا عن « المباهلة » ، باريس (HE (SSR) سنة ١٩٤٤ — سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٤ . هنالك يعود الاسلام « غربياً » (ابن ماجة ج ٢ : ٤٧٧ ؛ راجع بحثنا عن « سلمان » سنة ١٩٣٣ ص ٤٢) .

(٣) [هي المئذنة الشرقية في الجامع الأموى بدمشق ، وتعرف باسم مئذنة عيسى بسبب هذه الأسطورة — المترجم .]

(٤) أو في عكا (« الفتوحات » : ج ٣ ص ٣٦٤ — : الملحة الثانية = أرماجدون) .

وفي نفس الوقت الذي يقع فيه هجوم الشاهد الثاني ، يدُكُّ سورَ يأجوج ومأجوج « قومٌ وجوههم كالمجان المطرقة ، صفائر الأعين ، حنَّس الأنوف ، يلبسون الشعر » ، وقد قيل إنهم الترك ، وذلك قبل القرن التاسع^(١) . وأخيراً ينسب إلى « القائم » بعثُ اقتصادى شامل يمتاز إما بفيض المعادن النفيسة (يفيض نهر الفرات^(٢) ذهباً) في كنزهِ بالكوفة (بمسجد سهلة) ، أو بضرب نقود سليمة جديدة : نقود من الفضة مكعبة الشكل (لبنة فضة) تسد آخر ثغرة في سور الإسلام ، وإكمال الزكاة ؛ والحلاج وابن تومرت وحدهما هما اللذان جعلاً هذا « الدرهم المربع » يتداول في التعامل^(٣) .

والالتباس الألفي^(٤) الذي أناخ بكلِّه على التأويل المسيحي لـ « رؤيا » يوحنا فيما يتصل بالملكوت الظاهرة للمسيح قبل يوم الحساب ، ينيخ كذلك على التفسير الإسلامى للبعث الاجتماعى الذى سيقوم به « القائم » قبل « يوم القيامة » . والنبوءة المشهورة إنشورية المتعلقة بطولع الشمس من المغرب ، مما يعنى ختام المغفرة ، وحكم العداة المنتقم ، أفلا يفتح هذا مباشرةً على الأصول الكبرى ؟ إن الأصول الشيعة تصوّر فاطمة وقد تشعت شعرها وتوجت بوليدها الأخير نحو الشمس ، ولیدها مُحسّن الذى قتل ولم يؤخذ بثأره : وهذا علامة صبها اللعنة^(٥) . وفاطمة عند غلاة الشيعة هى « حُجرة المغرب الذى فيه يُشرق الهلال » ، وبدلاً من الهلال ستكون الشمس (= ميم) ساعة فجرها الغربى يوم الحساب . ولما كانت فاطمة تُعدّ تجسداً ثانياً لروح مريم (وذلك لأنه من حيث العدد = مريم = ٢٩٩) ، فإن

(١) أتراك بست (منذ ابن الأشعث = القحطاني ، السعودى ج ٥ ص ٣٠٢ ؛ الأتراك الداخلون فى الإسلام من ساحرا ، أو الغز الكفرة ، أو الصينيون (المقدسى : ج ٢ ص ١٥٤ ، النووى على مسلم ج ١٨ ص ٣٧ ؛ أبو داود ، طبعة سهرنبور ، ج ٥ ص ١٠٦ - ١٠٧) .

(٢) مسلم على النووى ج ١٨ ص ١٨ - ص ٢٠ (قارن بهذا تعذيب الحلاج) .

(٣) سلتستر دى ساسى : مختارات *Chrest.* ج ٢ ص ٢٨٣ تعليق ؛ جولدتسيهر ، « مجلة الجمعية المشرقية الألمانية » ZDMG ج ٤١ ص ٧١ ، ١٠٣ ؛ ابن خلدون : « المقدمة » ج ٢ ص ٥٨ ، ١٩٣ ؛ ابن دحية : « التبراس » ص ١٠١ ؛ « الفتوحات » ج ١ ص ٣٥٥ .

(٤) [نسبة إلى مذهب الفائلين بالألفية *Millénarisme* . ذلك أنه فى القرون الأولى للمسيحية اعتقد كثير من الكتاب ، تبعاً لما ورد فى سفر « رؤيا يوحنا » (٢٠ : ١ - ٣) أن المسيح سيعود إلى الأرض ليحكمها طوال ألف سنة - المترجم] .

(٥) الحصى : « الهداية » ، ص ٢٨٧ وما يتلوها ؛ وفاطمة ، « أم أيها » ، تضع محسن بين

« ابتهاج » فاطمة يناظر انتصار المرأة التي تمثل كنيسة الشهداء الذين غضبوا لإمهال العدالة الإلهية في « رؤيا » يوحنا (قارن سورة « المائدة » : ١١٦ ؛ سورة « صريم » : ٣٤) .
وعند من يقولون إن « القأم » هو مجيء عيسى « مُجَدِّد العصر » ، وشيخ الطريقة المثلى ، في نفوس الصوفية ، فإن انتصار المرأة هذا يُمَثَّل « بالرفيقة » عروس عيسى في الجنة ، وهي راعية بدوية تدع الغنم مع الذئب ترعى : « لا الذئب تأكل الغنم ، ولا الغنم تفرغ من الذئب » ، شوهاء ، « امرأة بلا يدين ولا رجلين ولا عينين . . . والشاة والذئب في مكان واحد . . . فإذا بذئب يدها إلى المرعى وذئب يسوقها » ، ولكنها في سلام الله (أبو نُعَيْم : « الحلية » ج ٦ ص ١٥٨ ، ج ١٠ ص ١٧٧ ؛ النيسابوري : « عقلاء المجانين » ص ١٢٤ ، ١٢٩ ؛ شيدلة ، مخطوط الفاتيكان عربي رقم ٣٢ ص ١٥٤ ؛ قارن ليثي دلافيدا : « فهرست مخطوطات الفاتيكان » ص ٢٨١ ؛ لسان الدين بن الخطيب ، « روضة التعريف بالحلب الشريف » ، مخطوط الظاهرية تصوف رقم ٨٥ ورقة ١٣٠ ؛ ليون بلوا Léon Bloy « حياة ميلانيا » Vie de Mélanie ص ١٦١) .

وهذه المسائل التي ذكرناها كانت مفردة ثم جمعت خلال العصور ، جمعها جماعون يتفاوتون نزاهةً ، في كتب على هيئة أشعار الرؤيا تدعى « كتب الملاحم » ، أقدمها منظومة (قارن الأناشيد السبيلية^(١) sibyllins اليهودية اللاتينية) ؛ ومن بينها ملحمة معدان الشَّمَيْطِي (المتوفى حوالي سنة ١٦٥ هـ) في المهدي الشيعي (ذكرها الجاحظ وأبو الفرج الإصفيهاني) وفيها يرد ذكر الطائر الخرافي « العنقاء » (الذي اختطف الطفل المضطهد وصعد به إلى السماء) . وفي القرن الثامن الهجري ، جاء ابن خلدون يحلل الملاحم التي استغلتها الأسر الحاكمة في شمال أفريقيا أو الطرق الصوفية (مثل القلندري باجبرقي المتوفى سنة ٧٢٤) . ثم تلا ذلك ملاحم مسجوعة (قارن بعد «خطبة البيان» ، سادساً) . وأخيراً نجد ،

(١) [نسبة إلى الكتب السبيلية أو الأشعار السبيلية التي كانت تحتوي على طائفة من النبوءات والوحي ، كان بعضها قد جرى فعلا في العابد والبعض الآخر نبوءات منحولة نسبت إلى أورفيه أو موسىه Musée . وقد انتشر هذا النوع في القرن السادس قبل الميلاد — المترجم] .

نثراً ، مقالات « متوقفة » لترجمات حياة (ملحمة بحيرا التي درسها Abel ، ونصوص تركية من القرن العاشر الهجري درسها دني Deny) ، هي إما حياة الإنسان الكامل (قارن المسيح ابن داود اليهودي) ، أو حياة شاهده المتعذب (المسيح ابن يوسف اليهودي) . ومنذ ١٨٠ هجرية نجد نعيماً (ويؤيده المقدسي : « البدء » ج ٢ ص ١٥٧) يسمي هذا الشاهد ، رأس طليعة البنود السود (وصورته الأولى أبو مسلم في سنة ١٣٠ هـ) ، يأتي من لدن الترك ، شعيب ابن صالح الطالقاني ، مولى تميم ، وله لحية خفيفة ، وشعيب يسبق مجي القائم (حسيني ، أو حسني زيدي ، يأتي من خوتن في الصين = ماسين) ، ويقتل السفيناني (ذا البنود الخضر عليها علامة الصليب) في البيضاء قرب اصطخر ، ويعطى الملك « للقائم » في مكة هو والأبدال السبعة ، ويُذبح كالشاة قبل القضاء على الكلبين السفينانيين في ميسان ، وفي وادي النار ، وفي إلبا (= القدس) ^(٢) . وفي إبان حياة الخلاج كان أهل طالقان يقولون عنه إنه شعيب هذا . وبعد ذلك بثلاثة قرون رأى فيه الشاذلية أنه الشيخ الحامي لتلسان ، أي الشيخ أبو مدين (راجع السيوطي ، « الخاوي » : ٢ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥) .

تحليل « خطبة البيان »

وهنا نحن أولاء نقدم هاهنا تحليلاً مفصلاً لـ « خطبة البيان » ، لأنها النص الملحق الإسلامي الذي كان أوفر النصوص حظاً من التنوع خلال تكوينه الطويل .
وآخر رواية له ، وهي رواية كمال الدين أبي سالم محمد بن طلحة الحلبي (من القرن الثالث عشر) في كتابه « الدر المنظم » (راجع مخطوط الترسيبي ، ورقة ١ - ٢ ؛ الإيراني ٣٥ - ٤٤ ؛ القندوزي ، « ينابيع المودة » ، ص ٤٠٤ - ٤٠٧ ؛ مع مخطوط باريس رقم ٢٦٦١ ، ورقة ٢١ ب إلى ١٢٤) ، تتألف من ثلاثة أجزاء : ديباجة تذكريها أسماء الله (« خالق السموات والأرض وقاترها . . . ») ، ثم أسماء النبي محمد (« الخاتم لما سبق من الرسالة . . . ») ؛ - ويتلو ذلك سروداً للمصائب المتزايدة التي لا بد أن تتلو

(١) « فيذبح على الصفا المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا ، المقطرة التي على عين الوادي » .

وفاته (« عَظَمْتُ البَلْوَى واشتدت الشكوى . . . ») ، على لسان الخليفة . فبينما كان على فوق المنبر بمسجد الكوفة الجامع ، قاطعه كافر هو سُوَيْدُ بن تَوْفَل الهلالي ، وسأله من أين له معرفة كل هذا . فالتفت إليه ، ورمقه بعين الغضب ، ثم خطب خطبة مسجوعة مكونة من ٢٦٨ اسم يتحدث فيها عن نفسه بصيغة المتكلم (« أنا سِرُّ الأسرار . . . ») . فلما سمعها سُوَيْدُ الكافر خَرَّ ميتاً ، وهناك استأنف عليٌّ كلامه (« سلوني قبل أن تفقدوني » — وهي عبارة مشهورة) فسرد ، في عبارات مسجوعة ، الفن التي ستقع حتى آخر الزمان : مبتدئةً من العليج الذي من بني قنطور (وهو الذي خرب البصرة) ، ومنقلةً ناحية الغرب من العراق إلى الشام ومصر (الماثرون الآتون من المغرب) حتى تتأدى ، بعد وصول طليعة ظافرة إلى القدس ، إلى مجيء « القائم » في الإسلام .

والقسم المميز هو نشيد الثمانية وستين ومائتي اسم . وعلى الرغم من أن (الشريف) الرضى لم يذكر منها شيئاً في المجموعة التي جمعها من الخطب المنسوبة إلى عليٍّ (« نهج البلاغة ») ، وهي خطب زيدية النزعة) ، فإن « خطبة البيان » تعود في أغلب الظن إلى نهاية القرن الأول الهجري ، وفقاً لمصادر أثبت هبة الله الشهرستاني أنها تسبق تأليف « نهج البلاغة » بمقدار ١٥٠ سنة (و « نهج البلاغة » جمع حوالي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) . وما يدل على أن هذه القطعة كانت معروفة تماماً قبل سنة ٣٤٩ هـ (= ٩٦٠ م) ما ورد في محاكاة تهكمية لمؤلف « أبي القاسم » ، نشرها متس (ص ١٥٧) ، ثم اقتباس ورد في كتاب « البدء والتاريخ » للمقدسي (نشرة هيوار Huart ج ٢ ص ١٧٤) . وإذا كان غلاة الشيعة المتأخرون قد صنعوا خطباً مستقلة عن هذه الخطبة ، (راجع فيما يتصل بالخطبة التي وضعها البكتاشية ، كتاب برج [« الطريقة البكتاشية » لندن وهرتفورد سنة ١٩٣٧ John Kingsley Birge : *The Bektashi Order of Derwachs*, London] ص ١٤١) ، فإن للنصيرية خطبتين تُنسبان إلى عليٍّ (ططنجية في مخطوط باريس برقم ٥١٨٨ ص ٩٥ ؛ الخصبيني : « الهداية » ص ٤٧ ؛ قارن العبارة : « أنا مُهْلِكُ عاد . . . » التي اتهم الصوئيُّ المنشيع للنصيرية الخلاج بأنه قالها عن نفسه في قضيته سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م)^(١) ، وهما خطبتان

(١) وهي عبارة مشهورة عن فرقة المغيرة (المقدسي : « البدء » ج ٥ ص ١٣٦ ؛ قارن الوصفاء السبعة للأبدال السبعة) .

وثيقتا الصلة الواحدة بالأخرى وتاريخهما يرجع إلى ما قبل سنة ٣٠٠ هـ .

وفي إعلان الكيسانية الذي نشره سنة ٢٧٨ هـ (= ٨٩١ م) إفادة واقتباس لبضع شذرات من هذه الخطبة (الطبرى: «تاريخ»، تحت سنة ٢٧٨ هـ). ويمكن أن نصّاعد إلى ما قبل ذلك ، بفضل مصدر من مصادر «معرفة الرجال» (ص ١٣٨ ؛ قارن المامقاني ص ٣٩٢) للكشي الشيعي (وهي تراجم جمعت قبل سنة ٢٠٥ هـ/٨٢٠ م) عن طريق أبي العلاء خالد بن طهمان الخفاف السلولى الذى قال إنه يرويها عن الإمام باقر (المتوفى سنة ١١٣ هـ). وهذا الادعاء له كل دلالة ، إذ ستكون هذه الخطبة صادرة عن سبئية الكوفة ، وهى طائفة تقول بتناسخ روح إلهية من دور إلى دور ، حتى يوم الحساب الذى يتجمع فيه تحقّق الأسماء التاريخية التى اتخذها «الإنسان الكامل» ، وهى أسماء سردها الجابران (جابر الأنصارى وجابر الجعفى) فى الرسائل المنحولة التى نسبها إلى الإمام باقر ، مهما يكن من رأيهما فيمن هو هذا «الإنسان الكامل» : أهو الإمام «الصامت» (فرقة العينية) ، أم الإمام «الناطق» (فرقة الميمية) ، أم شيخ ملهم (فرقة السينية : سلمان الفارسى ، أو عيسى) .

وديباجة هذه الخطبة يلوح أنها أحدث عهداً بكثير .

أما «الملحمة» الأخيرة فإننا نلاحظ بصددها ، إذا ما راجعنا السلسلة القديمة «للمصائب» التى أوردنا بيانها من قبل ، أنها قد فقدت كل نبرتها تقريباً بحكم كثرة الاستعمال .

وها نحن أولاء نسوق أهم الأسماء الواردة فى هذه الخطبة (ويجب أن نضع أمام كل منها : «أنا») :

- ١ . سرُّ الأسرار ؛ ٢ . شجرة الأنوار ؛ ٣ . دليل السموات ؛ ٤ . أنيس المسبّحات ؛
- ٥ . خليل جبرائيل ؛ صفيّ ميكائيل ؛ ٧ . سمندل الأفلاك ؛ ٨ . سائق الرعد ؛ ٩ . سرير الضُّراح^(١) (= كعبة السماء الرابعة) ؛ ٢٠ . كيوان الكهّان ؛ ٢٣ . مؤثّق الميثاق ؛
- ٢٤ . عصام الشواهد ؛ ٣٥ . سبب الأسباب ؛ ٣٦ . أمين السحاب ؛ ٣٧ . مسدد^(٢)
- اخلائق ؛ ٣٩ . جوهر القَدَم ؛ ٤٥ . الأول والآخِر ؛ الباطن والظاهر ؛ ٦٤ . جناح البراق ؛

(١) [كذا يفهما ماسينيون ؛ وقرأها نحن : سرير الضُّراح] .

(٢) [ترجمها ماسينيون بما يدل على أنه يقرأها : مشرد] .

٧٤ . شِمْلَالِ الْخَيْتَالِ ؛ ٧٦ . مُفَجَّرُ الْأَنْهَارِ^(١) ؛ ٧٨ . مُقِيضُ الْفُرَاتِ ؛ ٨٨ . أُمُّ الْكِتَابِ ؛
 ٩١ . أُسَاسُ الْمَجْدِ ؛ ٩٨ . خَامِسُ الْكِسَاءِ ؛ ١٠١ . رَجُلُ الْأَعْرَافِ ؛ ١٠٥ . مَائِدَةٌ
 الْكَشْفِ ؛ ١٠٩ . سِرُّ إِبْرَاهِيمَ ؛ ١١٠ . ثَعْبَانُ الْكَلِيمِ ؛ ١١١ . عَلَانِيَةٌ لِلْعَبُودِ ؛ ١١٥ .
 مَخَاطِبُ الْكَهْفِ ؛ ١٢٧ . ثَبِيرٌ^(٢) التَّرْكُ ؛ ١٢٩ . هَنْبَتَا^(٣) الزَّمَجِ ؛ ١٣٠ . جَرَجِسُ الْفَرْنَجِ ؛
 ١٣٣ . بَرَسْمُ الرُّوسِ ؛ ١٤٤ . إِيْلِيَا الْإِنْجِيلِ (الطُّورُ ، التَّعْذِيبُ : الْخَضِرُ) ؛ ١٤٥ . جُنَّةُ
 الْفِرَازَةِ ؛ ١٤٦ . كَاسِيَةُ الْعِرَاقِ ؛ مُوَاخِيُ يُوْشَعَ وَمُوسَى ؛ ١٤٨ . مِيْمُونُ رَضِيَ عَيْسَى ؛ ١٥١ .
 شَدِيدُ الْقُوَى ؛ ١٥٢ . حَامِلُ اللَّوَاءِ ؛ ١٥٣ . إِمَامُ الْمُحْشَرِ ؛ ١٥٤ . سَاقِيُ الْكُوْثَرِ ؛ ١٥٥ .
 قِسْمُ الْجَنَانِ ؛ ١٥٧ . يَعْسُوبُ الدِّينِ ؛ ١٦٣ . قَالِحُ الْبَابِ (بَابُ خَيْرٍ) ؛ ١٦٥ . صَاحِبُ
 الْبَيْعَتَيْنِ^(٤) ؛ ١٦٨ . مَخَاطِبُ الْأَمْوَاتِ ؛ ١٧٥ . الْجَوْهَرَةُ الثَّمِينَةُ ؛ ١٧٦ . بَابُ الْمَدِينَةِ ؛
 ١٧٣ . مُحْكِمُ « الطَّوَّاسِينِ » ؛ ١٨٤ . أَمَانَةُ « يَاسِينِ » ؛ ١٩٠ . صَاحِبُ « النَّجْمِ » (الزُّهْرَةُ) ؛
 ١٩١ . جَانِبُ « الطُّورِ » ؛ ١٩٢ . بَاطِنُ الصُّورِ ؛ ١٩٦ . سَهَامُ « الذَّارِيَّاتِ » ؛ ٢٠٠ . أَمَانَةُ
 « الْأَحْزَابِ » ؛ ٢٠٩ . مَمْدُوحُ « هَلْ أَتَى » (سُورَةُ الْإِنْسَانِ أَوْ الدَّهْرِ : ١) ؛ ٢١٠ . « النَّبَأُ
 الْعَظِيمُ » (سُورَةُ النَّبَأِ : ٢) ؛ ٢٠٥ . عِلَامَةُ « الطَّلَاقِ » ؛ ٢١٤ . غَذْوِيَّةُ الْفَطْرِ ؛ ٢١٥ .
 هِلَالُ الشَّهْرِ ؛ ٢١٦ . لَوْلُوُ الْأَصْدَافِ ؛ ٢١٨ . سِرُّ الْحُرُوفِ ؛ ٢٢٥ . رُوحُ الْأَشْبَاحِ (وَهِيَ
 الْأَجْسَامُ الْمَنْظُورَةُ لِلْأُمَّةِ) ؛ ٢٢٩ . الشَّهِيدُ الْمَقْتُولُ ؛ ٢٣٥ . مُكَسَّرُ الْأَصْنَافِ ؛ ٢٣٦ .
 صَاحِبُ الْإِذْنِ^(٥) ؛ ٢٤٠ . شَيْثُ الْبِرَاهِمَةِ ؛ ٢٤٢ . أَزْوَهِنُ^(٦) الْبَطَارِقِ ؛ ٢٤٣ . بَطْرَسُ
 الرُّومِ ؛ ٢٥٠ . مَشْكَاتَةُ النُّورِ ؛ ٢٥١ . إِمَامُ أَرْبَابِ الْفِتْوَى ؛ ٢٥٩ . مَهْدَى الْأَوَانِ ؛ ٢٦٠ .
 عَيْسَى الزَّمَانِ ؛ ٢٦١ . وَجْهُ اللَّهِ ؛ ٢٦٧ . لَيْثُ بَنِي غَالِبِ ؛ ٢٦٨ . عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
 وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ ، الَّتِي أَخَذْتُ لَهَا تَقْرِيْبًا مِنَ الْقُرْآنِ ، تَطَوَّى فِي الْإِسْلَامِ كُلِّ الشُّعُوبِ
 وَالطَّوَائِفِ (أَرْقَامُ ١٢٧ — ١٣٣ ، ٢٤٠ — ٢٤٣) الَّتِي تَحَاسِبُ يَوْمَ الْحِسَابِ وَفَقًّا لِمَقْدَارِ

(١) [يقرأها ماسينيون بمعنى أنها جمع نهار !] .

(٢) [يقرأها ماسينيون : بشير] .

(٣) [كذا يقرأها ؛ راجعها بعد] .

(٤) [يترجمها ماسينيون بما يفيد أنه يقرأها : اليقين] .

(٥) [يقرأها ماسينيون : الأذان — وهي لا تستقيم في السجع مع ما يليها] .

(٦) [يقرأها ماسينيون : ذوهن] .

قبولهم للتجلى الإلهي بين الناس : التجلى في صورة إنسان ، مُهيبةً به ، حتى تحظى بالنجاة ، تحت واحد من هذه الأسماء التي تعترف بها له (وقد أُوحىَ بها من قبل) . وهنا تثار مشككة أوغلت في بحوثها طوائف الشيعة : هل هذا التجلى من « السّين » ، أى تقديس من جانب الروح لشيخ ؛ أو من « العين » ، أى ملكوت صامت من الله المعبود ، فيه تقديس للإمام ؛ أو من « الميم » أى كلام الله بلسان نبيّه ؟ وجمهرة الأسماء المذكورة هي « سينية » (أرقام ٤ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠) وتشير إلى تلك الروح القدس التي ولدت وهَدَّتْ خصوصاً — بعد الحَضر — عيسى ثم سلمان ، والتي ستحل في الحاكم الأخير . وثمت أسماء أخرى هي إما أسماء أنبياء ، خصوصاً محمد ، وإذن هي « ميمية » (أرقام ٥ ، ٦ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٩) ، أو أوصياء الأنبياء (أرقام ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٤٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ : وعلى الأخص على) . وأخيراً هناك أسماء الألوهية القديمة الصامتة (أرقام ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ [قارن « هيولى الكواكب »] ، ٤٥ ، ٧٦ ، ٢٠١) ، وإذن هي « عينية » . ومصدر هذا النص الذى نحن بصدده واضح أنه إمامي « عينى » ، لأنه يكرّس كل الخطبة لعلّ مؤلّهاً ؛ لكن نموذجها لا بد أن يكون « سينيا » يستهدف ذلك الحاكم النهائى الذى ستحل فيه الروح — عيسى (سلمان ، حمزة) .

وإلى جانب « الإنسان الكامل » تراءى للإسلام ، وهو يحدّد المسيح اليهودى ، (وهذا أمر لم يفعله بنو إسرائيل) الدور النشورى التمهيدي الذى ستقوم به المرأة الكاملة ، تلك المرأة المضطهدة الوارد ذكرها في « رؤيا » يوحنا ، والتي منها سيولد « الإنسان الكامل » . ونحن نحيل في هذا إلى الخطبة العجبية النصيرية المنسوبة إلى فاطمة^(١) ، أو بالأحرى إلى « الأنوثة » التي تجلّت أيضاً في كلتا المريمتين ، مريم بنت عمران ، ومريم بنت يواقيم : « هي

(١) راجع بحثي عن « العبادة الغنوصية لفاطمة » ، اتسورس Zürich سنة ١٩٣٨ (كتاب إيرانوس السنوى *Eranos-Jahrbuch* ص ١٦٢ — ص ١٧٣) . ولاحظ ، فيما يتعلق بالصلة بين فاطمة ومريم ، أن والدة المهدي يجب أن تكون نصرانية نبيلة المولد (من نسل بطرس) . والآفة يلدهم السين (= الروح القدس) عند السنية ، وأهم عذراء ؛ وكما أن مريم « حملت بأذنها » ابنها ، الذى نبأها باسمه الملائكة (سورة آل عمران : ٤٤٠ : « إذ قالت الملائكة : يا مريم ! إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ») ، فإنها هي تحمل بواسطة السين .

صخرة انبجست عيوناً اثنا عشر . وآفة هذه الخطبة ، آفتها الوحيدة ، هي أنها خلعت صفة المادة في تصويرها لنسب الميلاد الروحي (الذي تمتاز فيه بأنها ربطت المرأة بالسّين) ؛ أما الحلاج فسيقول بعبارة أدق وأصدق : « أسرارنا بكرٌ ما اقتضها إلا خاطر الحق » .

(وصحة « ختم الأولياء » للحكيم الترمذى (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) ، خاتم الأولياء هذا الذي نشرت مجمله تبعاً لابن عربي (« مجموع نصوص » ص ٣٣ - ٣٦ = « الفتوحات المكيّة » ج ٢ ، ص ٤٤ - ١٥٤ ، ٤٥٤) ، تتأيد الآن بالفصول المناظرة لها عند الحكيم الترمذى في كتابه « نواذر الأصول » (نشرة سنة ١٢٩٣ هـ ، ص ١٥٧ - ١٥٨) ؛ قارن أيضاً كلام ابن عربي عن الأولياء العيسوية (« الفتوحات » ، ج ١ ، ٢٤٩ - ٢٥٥ ؛ ج ٢ ، ٦٤ - ٦٥ ؛ « رسالة القدّس ») .

« خطبة البيان »^(*)

[ص ٢١ ب] . . . ولما خطب الإمام رضى الله عنه خطبته الأولى ، وكان حاضراً
سويد بن نوفل الهلالي ، فقام إليه وقال له : يا أمير المؤمنين ! أنت حاضر ما ذكرت وعالم
به وبتأويل ما أخبرت ؟ فالتفت إليه أمير المؤمنين رضى الله عنه ، ورمقه بعين الغضب ، ثم
قال له : ثكلتك الثواكل ، ونزلت بك النوازل ! يا ابن الجبان الخبيث ، والمكذب
الناكث ! سيقصر بك الطول ، ويغلبك الغول :

« أنا سرُّ الأسرار ، أنا شجرة الأنوار ؛ أنا دليل السموات . أنا أنيس المسببات ؛
أنا خليل جبرائيل ، أنا صفي ميكائيل ؛ أنا قائد الأملاك ، أنا سمندل الأفلاك ؛ أنا سائق
الرعد ، أنا شاهد العهد ؛ أنا سرير^(١) الصُّراح ، أنا حفيظ الألواح ؛ أنا قطب الديجور ،
أنا البيت المعمور ؛ أنا زاجر القواصف ، أنا محرِّك العواصف ؛ أنا مزُنُ السحاب^(٢) ،
أنا نور الغياهب ؛ أنا شرف الدوائر ، [٢٢ ا] أنا مؤثر المآثر ؛ أنا كيوان الكهَّان ، أنا
شأن الامتحنان ؛ أنا شهاب الإحراق ، أنا موثق الميثاق ؛ أنا عصام الشواهد ، أنا سهام
الفراقد ؛ أنا شعاع العسايس ، أنا جوفُ الشوامس ؛ أنا فُلكُ اللجج^(٣) ، أنا حُجَّةُ الحجج ؛
أنا ميمن الأمم ، أنا فضيل الذم ؛ أنا سَمَّكُ البهو ، أنا إمام العفو ؛ أنا سبب الأسباب ، أنا
أمين السحاب ؛ أنا مُسَدِّدُ الخلائق ، أنا مُحَقِّقُ الحقائق ؛ أنا جوهر القِدم ، أنا مُرْتَبُ
الحِكم ؛ أنا منية الأمل ، أنا عامل العمل^(٤) ؛ أنا شريف الذات ، أنا محدث الشتات . أنا

(*) [ننشر هنا هذا النص عن مخطوطين بباريس اعتمدنا منهما رقم ٢٦٦١ ورقة ٢١ ب —

١٢٤ — المترجم] .

(١) في الأخرى (رمزها ت) : صرير . والأولى أصح لأنها من سرير : أى مُيسرٌ إليه الكلام .

وماسينيون يقرأها : سرير الصُّراح (بالضاد المعجمة) ويفهم السرير بمعنى التخت . راجع قبل ص ١٠٥

تعليق ١ .

(٢) في النسختين : السحاب .

(٣) في النسختين : الحج .

(٤) في النسختين : العوامل .

الأول والآخر ، أنا الباطن والظاهر ؛ أنا البرق اللوع ، أنا السقف المرفوع ؛ أنا قر
السرطان ، أنا شغرى الزبرقان ؛ أنا أسد الفترة ، أنا سعد الزهرة ؛ أنا مُشترى الكواكب ؛
أنا زحل الثواقب ؛ أنا غفير الشرطين ، أنا ميزان البطين ؛ أنا حمل الإكليل ، أنا عطارد
التفصيل ؛ أنا قوس العراك ، أنا فرقد السناك ؛ أنا مريخ القران ، أنا عميق الميزان^(١) ؛ أنا
حارس الاستراق ، أنا جناح البراق ؛ أنا جامع الآيات ، أنا سريرة الخفيات ؛ أنا ساجر البحر ،
أنا قسطاس القطر ؛ أنا مُصاحب الحديدين ، أنا أمير التيرين ؛ أنا محط القصاص ، أنا
خلاصة الإخلاص ؛ أنا شمال^(٢) الخليل ، أنا مُقدّم الآمال ؛ أنا مُفجّر الأنهار ، أنا مُعذب
الثمار ؛ أنا مفيض^(٣) الفرات ، أنا مُعرب [٢٢ ب] التوراة ؛ أنا ملك بن ملك ، أنا هدية
الملك ؛ أنا مبین الصحف ، أنا يافث الكثف ؛ أنا ذخيرة الشكور ، أنا مُفصح الزبور ؛
أنا مؤوّل التأويل ، أنا مُفسر الإنجيل ؛ أنا أمّ الكتاب ، أنا فصل الخطاب ؛ أنا صراط
الهدى ، أنا أساس المجد ؛ أنا منجد البررة ، أنا سورة البقرة ؛ أنا مُثقل الميزان ، أنا صفوة
آل عمران ؛ أنا علم الأعلام ، أنا جملة الأنعام ؛ أنا خامس الكساء ، أنا تبيان «النساء» ؛
أنا ألفة الألاف ، أنا رَجُلُ الأعراف ؛ أنا حَجَّةُ القال ، أنا صاحب «الأفان» ؛ أنا
« مائدة » الكشف ، أنا « توبة » الثقف ؛ أنا صادق المثل ، أنا راسخ الجبل ، أنا سر
إبراهيم ، أنا ثعبان الكلم ؛ أنا علانية المعبود ، أنا صف « هود » ؛ أنا نخلة الخليل ، أنا
مبعوث بنى إسرائيل ؛ أنا مخاطب « الكهف » ، أنا محبوب «الصف» ؛ أنا وَلِيُّ الأولياء ،
أنا وَرثة الأنبياء ؛ أنا لاهج النهج ، أنا حُجَّةُ الحجج ؛ أنا موصوف المؤمنين ، أنا
نور المُسَبِّحين ؛ أنا الفرقان ، أنا البرهان ؛ أنا عقود الكرهن ، أنا عماد المكن ؛ أنا ثبير
الترك ، أنا شملاص الشرك ؛ أنا جنبنا الزنج ، أنا جرجس الفرنج ؛ أنا عقد الإيمان ،
أنا زركم الفيلان ؛ أنا برستم الروس ، أنا لولش الشدوس ؛ أنا سلمة المكا ، أنا دودين
الحكا ؛ أنا بدر البروج ، أنا شنشا الكروج ؛ أنا حاتم الأعاجم ، أنا دوشان التراجم ؛

(١) ناقصة في ث .

(٢) يقال ناقة شمال أو شليل : سريعة ؛ أي أنا سرعة الخيال السريع .

(٣) ص : مفيض القوات . وماسينيون يفهم الفرات هنا بمعنى نهر الفرات المعروف ، ولكن

الأرجح أن يكون المقصود هو الماء الفرات أي العذب .

أنا أوربا الزبور ، أنا حجاب العقور ؛ أنا صفوة الجليل [١٠٣٣] ، أنا إيليا الإنجيل ؛
أنا جنة الغزاة ، أنا كاسي العراة ؛ أنا مؤانخي يوشع وموسى ، أنا ميمون رضى عيسى ؛
أنا رزملاح القرس ، أنا عماد الأنس ؛ أنا شديد القوى ، أنا حامل اللوا (ء) ؛ أنا إمام
المحشر ، أنا ساق الكوثر ؛ أنا قسيم الجنان ، أنا مشاطر النيران ؛ أنا يعسوب الدين ،
أنا إمام المتقين ؛ أنا وارث المختار ، أنا ظهير الأظهار ؛ أنا مبيد الكفرة ، أنا نور الأئمة
البررة ؛ أنا قالع الباب ، أنا مفرق الأحزاب ؛ أنا صاحب البيعتين ، أنا رب بدر وحمّين ؛
أنا حافظ الكلمات ، أنا مخاطب الأموات ؛ أنا مُكلم الثعبان ، أنا آلاء الرحمن ؛ أنا
الضارب بالسيفين ، أنا الطاعن بالمحجن ؛ أنا ليث الزحام ، أنا إنس الهوام ؛ أنا الجوهرة
الثمينة ، أنا باب المدينة ؛ أنا وارث العلوم ، أنا هيولى النجوم ؛ أنا مفسر البينات ، أنا مبين
المشكلات ؛ أنا أول المصدقين ، أنا إمام المترسرين ؛ أنا محكم « الطواسين » ، أنا أمانة
« ياسين » ؛ أنا حاء « الحواميم » ، أنا سابق « الزمر » ، أنا آية « القمر » ، أنا صاحب
« النجم » ، أنا جانب الطور ، أنا باطن الصور ؛ أنا عتيد « قاف » ، أنا وازع
« الأحقاف » ؛ أنا منازل « الصافات » ، أنا سهام « الناريات » ؛ أنا فاطر النافعة ، أنا
متلو « سبأ » و « الواقعة » ؛ أنا أمانة « الأحزاب » ، أنا مكنون الحجاب ؛ أنا وعد
الوعيد ، أنا مثال « الحديد » ؛ أنا وفاق الآفاق ، [٢٣ ب] أنا علامة « الطلاق » ؛
أنا « النون والقلم » ، أنا مصباح الظلم ؛ أنا سؤال متى ، أنا مدوح « هل أتى » ؛
أنا « النبأ العظيم » ، أنا السراط المستقيم ؛ أنا زمام الطول ، أنا محكم الفضل ؛ أنا عذوبة
القطر ، أنا هلال الشهر ؛ أنا لؤلؤ الأصداف ، أنا جبل قاف ؛ أنا سرّ الحروف ،
أنا نور الظروف ؛ أنا جبل الراسخ ، أنا العلم الشامخ ؛ أنا مفتاح الغيوب ، أنا مصباح
القلوب ؛ أنا نور الأرواح ، أنا روح الأشباح ؛ أنا الفارس الكرار ، أنا نصرّة الأنصار ؛
أنا السيف المسلول ، أنا الشهيد المقتول ؛ أنا جامع القرآن ، أنا تبيان البيان ؛ أنا شقيق
الرسول ، أنا بعل البتول ؛ أنا عمود الإسلام ، أنا مكسر الأصنام ؛ أنا صاحب الإذن ،
أنا قاتل الجن ؛ أنا ساق العطاش ، أنا نائم الفراش ؛ أنا شيك البراهمة ، أنا سعد اليعاقبة ؛
أنا أزوهن البطارق ، أنا كور المغارق ؛ أنا بطرس الروم ، أنا سيد الأشموم ؛ أنا حقيق

الأمرن ، أنا أمين المأمن ؛ أنا صالح المؤمنين ، أنا إمام المعلمين ؛ أنا غاب الكنور ، أنا مشكاة
النور ؛ أنا إمام أرباب الفتوة ، أنا كنز أسرار النبوة ؛ أنا المطلع على أخبار الأولين ، أنا
المخبر عن وقائع الآخرين ؛ أنا حامل الراية ، أنا صاحب الآية ؛ أنا قطب الأقطاب ، أنا
حبيب الأحباب ؛ أنا مهدي الأوان ، أنا عيسى الزمان ؛ أنا والله وجه الله ، أنا والله أسد
الله ؛ [١٢٤] أنا سيد العرب ، أنا كاشف الكرب ؛ أنا الذي قيل في حقى : لا فتى
إلا على ؛ أنا الذي قيل فى شأنه : أنت منى ، بمنزلة هارون من موسى النبي ؛ أنا لىث بنى
غالب ، أنا على بن أبى طالب .

قال : فصاح السائل صيحة عظيمة ، وخرّ ميتاً . فعقب أمير المؤمنين كلامه كرم الله
وجهه بأن قال : الحمد لله بارى النسم ، وذارى الأمم ، والصلاة على الاسم الأعظم والنور الأقوم .
ثم قال : سلونى عن طرق السماء فإنى أعلم بها من طرق الأرض ! سلونى قبل أن تفقدونى ،
فإن بين جنبيّ علوماً كالبحار الزواخر ! — فنهض إليه الرُسخ من العلماء ، والمُهرّ من
الحكماء ، وأحدق به الكُمل من الأولياء ، والذُدر من الأصفياء ، يقبّلون مواطى قدميه ،
ويقسمون بالاسم الأعظم عليه ، بأن يتم كلامه ويكمل نظامه ... » .